المختصر المعين

على نقض ادعاء

من قال بأولية النور المبين

ويتضمن ردود على فريد الباجي

فيما خالف فيه أهل السنة والجماعة

اعداد

أبو عمر

المنزلي الأشعري

مقدمة

بسم الله الرحمان الرحيم

الحمد لله العليّ العلام، منزل الشرع من أصول وفروع وأحكام. والصلاة والسلام على خير الأنام سيدنا محمد المظلل بالغمام وعلى ءاله وأصحابه أقمار الظلام ومصابيح الإسلام.

أما بعد فقد شرّف الله أحبابه بواجب القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ونصر بهم الدّين وحمى بهم الإسلام فكانوا مكافحين ومنافحين ذابين عن حياض الشرع الشريف مراعين للفرائض والواجبات إرضاءً لرب العالمين غيرَ مبالين برضا وغضبِ المداهنين مختارين القيام بالواجب الديني ولا يبالون بالمقصّرين والساكتين والنائمين الَّذين آثروا الدنيا على الآخرة مدافعين عن أهدافهم الشخصية الدنيوية التي لا قيمة لها ووفق الله أحبابه للقيام بالدفاع عن الدّين وحمايته وعدم السكوت على انتشار المنكرات المتنوعة عاملين بقول الله تعالى:

﴿**كنتم خير أمة أُخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله**﴾ [سورة آل عمران آية 110] . مستحضرين حديث رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم «**إن الناس إذا رأوا المنكر فلم يغيّروه أوشك أن يعمهم الله بعقاب**». رواه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده من حديث أبي بكر رضي الله عنه، ومعنى الحديث أن الله ينتقم منهم إذا تركوا النهي عن المنكر يُنزل بهم نقمًا ونكبات في الدنيا قبل الآخرة ولا شك أن النقم التي تنزل بالمسلمين في هذه الأزمنة من شؤم ترك تغيير المنكر والنهي عنه.

سبب تأليف هذه الرسالة

قال أبو علي الدقاق: "الساكت عن الحق شيطان أخرس"، رواه عنه أبو القاسم القشيري في كتابه الرسالة القشيرية ص 156 من الطبعة الأولى لدار الكتب العلمية.

من المفاسد المخالفة لدين الله التي ظهرت بين بعض أدعياء العلم والمشيخة قولهم "إن محمدًا أوّل المخلوقات" و هذا الكلام مخالف للقرءان الكريم، وللحديث الصحيح الثابت.

أما مخالفته للقرءان فيستدل عليه من قول الله تعالى: "**وجعلنا منَ الماءِ كلَّ شيءٍ حيٍّ**" سورة الأنبياء.

وأما مخالفته للحديث فيستدل عليه بما رواه البخاري والبيهقي من حديث عمران بن حصين أن أناسًا من أهل اليمن أتوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: جئناك يا رسول الله لنتفقه في الدين فأنبئنا عن أول هذا الأمر ما كان؟ قال: "**كان الله ولم يكن شيء غيره، وكان عرشه على الماء، وكتب في الذكر كل شيء ثم خلق السموات والأرض**"، فهذا نص صريح في أنّ أول خلق الله الماء والعرش لأن أهل اليمن سألوه عن بدء العالم.

فهذا الوفد سأل النبيَّ صلى الله عليه وسلم عن بدء هذا الأمر أي عن أول العالم فاجابهم النبي صلى الله عليه وسلم أولاً بالأهم أي بأهمّ مما سألوا وهو أنه أثبتَ الأزليةَ لله وحده، ثم أجابهم عن سؤالهم وهو أول العالم وبدء الخلق، وهو الماء الذي هو أصل لغيره من المخلوقات واللهُ تعالى خلقه بقدرته من غير أصل. وثاني المخلوقات بعد الماء العرشُ وهو أكبر الأجرام التي خلقها الله.

فمن هذا الحديث علم أن المقام هو مقام تعليم والرسول صلى الله عليه و سلم أرشدهم إلى أول المخلوقات وبين لهم ذلك, فالذي يقول أن نور الرسول أو روحه هما أول المخلوقات فكأنه يتهم الرسول بعدم الأمانة في التبليغ و أنه أخفى عن هؤلاء الناس حقيقة ما سألوه عنه.

وقد قام بعض علماء الزيتونة في تونس بالرد على من يدعي أولية النور المحمدي ممن يستدل بحديث جابر، فقد قال الشيخ محمد الطاهر بن عاشور في الصحيفة 160 من كتابه "**تحقيقات**

وانظار في القران والسنة" تعليقاً على حديث جابر ما نصه : " فهذا الحديث مجهول السند ، ومجرد وجود عبد الرازق في رواته لا يكفي في توثيق سنده ، إذ لا ندري من رواه عن عبد الرازق ولا من روى عنه عبد الرازق بينه وبين جابر ، فهو لذلك غير صحيح ولا حسن لعدم معرفة رواية مصدره على أن يعرف توفر شرط رجال الصحيح ورجال الحسن فيهم فيتردد بين كونه ضعيفاً أو موضوعاً . إنتهى

فدفاعا منا عن دين الله وعن شريعة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعملا بالأوامر الإسلامية بالنهي عن المنكر واقتداء بعلمائنا الأكابر وبعد اطلاعنا على كتاب للمدعو "فريد الباجي التونسي" سماه على زعمه " القول المتين في الرد على الوهابية والأحباش في انكارهم أولية النور المبين". أردنا أن نبين الحق وإظهار ما في هذا الكتاب من مخالفة للقاعدةِ الحديثيّةِ التي تَنُصُّ على أنَّ الحديثَ الضعيفَ إذا خالف الحديثَ الثابتَ فلا حاجةَ إلى تأويله، بل يُعْمَلُ بالثابتِ ويُتْرَكُ الضعيف. وذلك مقرَّر في كتب المصطلح وكتبِ الأصول.

واسم هذا الكتاب أيضا دليل على خبث طوية هذا الرجل حيث جعل السادة الأحباش القائمين على نصرة مذهب أهل السنة في نفس المقام مع الوهابية المجسمة, وشتان بين من يحذر الناس من العقائد الفاسدة و بين من ينشر فيهم التشبيه والتجسيم و الضلال.

وهؤلاء الذين يزعم فريد الباجي أنه يرد عليهم هم طلاب خادم علم الحديث الشريف، الشيخ الحافظ الفقيه الأصولي عبد الله الهرري رحمه الله تعالى الذي وصفه الشيخ كمال الدين جعيّط (مفتي تونس السابق والذي كان أول من أمضى على ميثاق تونس) بالعلامة النحرير والدراكة الشهير " و"الشيخ الجليل والناقد البصير" وقال:" ونسأله تعالى أن يبقيه ذخرا للاسلام و المسلمين ويبقي لسان قلمه سيفا قاطعا مسلطا على أهل الأهواء و البدع"كما جاء في تقريظ كتاب "المقالات السنيّة في كشف ضلالات أحمد بن تيمية" ووصفه أيضابالعالم الجليل الغيور على أحاديث رسول الله، وقال عنه:" فبارك الله فيكم وجعلكم قدوة للمتعلمين و مرشدا

للمتعطشين و سيفا مسلطا على المعاندين الزائغين" كما جاء في تقريظ كتاب التعقب الحثيث الذي هو رد على ناصر الدين الألباني.

ثم إن النبي صلى الله عليه و سلم هو نور هدى ورَشاد وليسَ بدنه نور ولا خلق من نور، بل خُلق من أب وأم وهو لحم وعظم وما خالطهما وهو مع ذلك أفضل خلق الله.

ولتوضيح هذه المسألة قررنا أن نعمل هذه الرسالة التي أسميناها " **المختصر المعين على نقض ادعاء من قال بأولية النور المبين** ".

وقد صدرنا هذه الرسالة بمقدمة ذكرنا فيها مخالافات فريد الباجي لأهل السنة و الجماعة مع بيان الصواب وما يوافق الحق، ومن ثمة رد على كلامه في دعوى أولية النور المحمدي.

والله نسأل أن يتقبل منا هذا العمل الصالح بجاه سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم.

1/ الفصل الأول: رد على بعض مخالفات فريد الباجي التونسي لأهل السنة و الجماعة

– من جملة مخالافات فريد الباجي التونسي لأهل السنة و الجماعة ادعائه أن معاوية لما خرج عن سيدنا علي، هذا اجتهاد منه وقد أخطأ فله أجر بزعمه.

الجواب:

أولا: ليعلم أن الإمام الطحاوي قال في عقيدته: "ونحب أصحاب رسول الله ﷺ ولا نفرط في حب أحد منهم ولا نتبرأ من أحدهم ، ونبغض من يبغضهم وبغير الحق يذكرهم ، ولا نذكرهم إلا بخير، وحبهم دين وإيمان وإحسان، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان". وكلام الطحاوي إنما هو من حيث الإجمال، لأن الرسول، صلَّى الله عليه وسلَّم، ثبت عنه أنه قال في شخصٍ من أهلِ الصُّفَّةِ وُجِدَ معه، بعد موته، ديناراِنِ من ذهب :"**كَيَّتانِ بالنار**". وإنَّما قال رسولُ الله "كَيَّتانِ بالنار" لأنَّ هذا الصحابيَّ كان يتظاهرُ بالفَقْرِ أمامَ الناس ليعطِفوا عليه ويحسِنوا إليه بالمالِ وهو ليس محتاجًا وإنَّما كان يُخْفِي مالَه الذي يكفيه..والحديث رواه أحمدُ في مسنده وابنُ حِبَّانَ في صحيحه.

فهل يكون الإمام أحمد قد طعن في ذلك الصحابي و عرض بعيبه لأنه أورد ذلك الحديث في مسنده، و هل يكون ابن حبان مبتدعا و مخالفا لأنه روى هذا الأثر؟

وهل يكون البخاري مسيئا و مبغضا للصحابة لأنه روى عن الرسول الأكرم أنه قال في صحابيٍّ كان يقاتلُ الكفَّار، في بعضِ الغزوات، قتالًا شديدًا حتَّى قُتِلَ وقد أَعْجَبَتْ شجاعتُه بعضَ الصحابة، قال فيه"**إنَّه في النار**"؟ ولعلَّ سبب تلك المقالةِ أنَّه كان يرائي. وهل يقال عن هذا الصحابي أنه مات تقيا؟

وهل يكون الفقهاء الذين تكلموا في باب المعاصي آثمين لما استشهدوا بأفعال الرسول و إقامته للحدود على بعض من ثبت عنه أنه زنا أو شرب الخمر من الصحابة؟ هل هذا طعن لهم أم قول للحق؟

وهل أودع البخاري حديث "**تقتل عمار الفئة الباغية**" لنضع أصابعنا عليه حين نصل إلى موضعه ونقرأ ما بعده؟ أم أودعه ليروى بين الناس و يحفظ ويعمل به كسائر الأحاديث؟

ثانيا: إنَّ هؤلاءِ الذين قاتلوا في صِفِّينَ مَعَ معاوية ضِدَّ عليِّ بنِ أبي طالبٍ قِسْمٌ قليلٌ منهم كان من الصحابة وليس فيهم واحدًا من السابقينَ الأوَّلين. وأمَّا القِسْمُ الأكبرُ فلم يكن من الصحابةِ وإنَّما كانوا من الذين أسلموا من أهلِ الشامِ.

ثالثا: قولنا أن من قاتل عليا فقد بغى هو تصديق و اتباع لما قاله الرسول مع اعتقادنا الجازم أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم ثقات عدول فيما يروونه عنه كما قال الإمام الحافظ شهاب الدين أبو العبّاس أحمد بن محمّد بن أحمد المِقَّرِيِّ المالكي في"منظومة إضاءة الدُجُنَّة في إعتقاد أهل السّنّة": وَالصَّحْبُ كُلُّهُمْ عُدُولٌ خِيَرَهْ , فَمَنْ يُرِدْ وَجْهَ اهْتِدَا بِهِمْ يَرَهْ **خلافا لما يروج له فريد الباجي عن الأحباش**، فإنهم مع قولهم أن معاوية بغى فهم لا ينفون عنه العدالة في رواية الحديث.

رابعا: سيدنا علي رضي الله عنه بايعه أهل المدينة فوجب على كل إنسان أن يوافق على خلافته ولو كان لا يعرف المدينة، فمن قال بعد ذلك لعلي أنت لست إمامي يكون قد وقع في ذنب كبير. الرسول عليه الصلاة والسلام قال: "**لا تُنازعوا وُلاة الأمر إلا أن تروا منهم كفرًا** ".

معاوية خالف هذا الحديث، ماذا رأى معاوية من علي رضي الله عنه؟ ما رأى منه معصية، لكنه أحب الرئاسة، حب الرئاسة جره إلى قتال سيدنا علي، أهل الشام أطاعوه من دون فهم، قتلوا من جيش عليٍ **عشرين ألف نفسٍ فيهم كبار الصحابة**.

يقول الإمام أبو بكر ابن فورك في نقله لمقالات الإمام أبي الحسن الأشعري ما نصه: " وقال في غيرهما من مقاتلي علي من أهل وقعة الجمل ومن أهل صفين الذين قاتلوا مع معاوية عليا "**مجوَّز غفرانه والعفو عنه**". انتهى

وقال أيضا ما نصه: كذلك كان يقول في حرب معاوية : "أنه كان باجتهاد منه , وإن كان ذلك **خطأ وباطلا ومنكرا وبغيا** , على معنى أنه خروج على إمام عادل". انتهى

ولا ينبغي أن يفهم من كلام الأشعري من تعبيره بالخطإ في أمر معاوية أنه كان حصل منه ذلك باجتهاد كاجتهاد الأئمة في استخراج المسائل من الكتاب والسنّة على حسب أفهامهم ,وذلك لأن سيّدنا عليًّا رضي الله عنه قال: "**إن بني أمية يقاتلونني يزعمون أني قتلت عثمان, وكذبوا إنما يريدون المُلك**" رواه مسدَّد بن مُسَرْهَد في مسنده, وكذلك قال سيدنا عمّار بن ياسر رضي الله عنهما عن معاوية إن همه كان الدنيا ودعواه إلى الأخذ بدم عثمان إنما هو اتخذها ذريعة للوصول إلى الملك, ذكر ذلك الحافظ المجتهد ابن جرير الطبري. فسيدنا علي وعمار أدريا بحال معاوية ممن قال: "إنه اجتهد فأخطأ فله أجر واحد". فدعوى أن معاوية حصل منه ذلك على طريقة الاجتهاد المعروف بين الأئمة تخيّلٌ لما هو مخالف للواقع, ويؤيد ذلك أنه لو كان الإمام الأشعري أراد بقوله إن معاوية اجتهد ذلك الاجتهاد الذي رفعت المؤاخذة عن المخطىء فيه، لم يقل إن ما حصل منهم مجوّز الغفران, وهذا ظاهر لمن يفهم العبارات. وأي اجتهاد يثاب فاعله يؤدي إلى سفك دماء أكثر من عشرين ألف نفس فيهم أحد السبعة الذي أسلموا أوَّلا وهو عمار كما أخرج ذلك ابن حبان في صحيحه وغيرُه, وفيهم من شهد له الرسول بأنه خير التابعين وهو أويس القرني. فليس كل اجتهاد معتبر شرعا ومثاب عليه و إلا لكان الفلاسفة الذين اجتهدوا وقالوا بأزلية العالم وأخطؤوا فيما ذهبوا إليه باجتهادهم مأجورين أيضا. وهذا لا يقوله عاقل.

فبعد هذا كيف يصح أن يقال إن معاوية اجتهد فأخطأ فنثبت له أجر الإجتهاد, وكيف يكون مجتهدًا مأجورًا وفي حديث البخاري "**ويدعونه إلى النار**" أليس كلام فريد الباجي مخالفًا لقول عمّار: "**ولكن قولوا فسقوا وظلموا**" كيف يجتمع الظلم في مرتبة واحدة مع الأجر والثواب ويكون الظالم مأجورًا مثابًا, وما هذا عند النظر إلى الحقيقة إلا تعاميًا عن الشمس في رابعة النهار ليس دونها سحاب.

روى البيهقي في كتابه الاعتقاد عن محمد ابن اسحق أنه قال: الذي عهدت عليه مشايخنا أن من نازع أمير المؤمنين عليا في إمارته باغ، و على ذلك محمد ابن إدريس – يعني الشافعي– و قال

الإمام سراج الدين ابن الملقن في تخريجه لأحاديث الرافعي الذي سماه البدر المنير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير:"وثبت أن مقاتلي علي بغاة". هذا و قد نقل الإمام عبد القاهر الجرجاني في كتابه "الإمامة" **إجماع** أهل السنّة والجماعة على أنّ عليًّا رضي الله عنه كان مصيبًا في قتاله وأن الذين قاتلوه بغاة ظالمون له ولكن لا يجوز تكفيرهم ببغيهم.

وجاء في كتاب مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح للحافظ علي بن سلطان محمد القاري مانصه: "فإذا كان الواجب عليه –أي معاوية– أن يرجع عن بغيه بإطاعته الخليفة ، ويترك المخالفة وطلب الخلافة المنيفة، فتبين بهذا أنه كان في الباطن باغيا ، وفي الظاهر متسترا بدم عثمان مراعيا مرائيا ، فجاء هذا الحديث عليه ناعيا، وعن عمله ناهيا، لكن كان ذلك في الكتاب مسطورا ، فصار عنده كل من القرآن والحديث مهجورا ، فرحم الله من أنصف ولم يتعصب ولم يتعسف، وتولى الاقتصاد في الاعتقاد". انتهى

وقد ألف " وليد بن مصباح الطاهر عقربي" أحد أنصار فريد الباجي كتابا في فضائل معاوية سماه بزعمه " زِبْرِجُ العقيان في فضائل سيدنا معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما". والرد عليه باختصار بأن يقال: أخرج ابن الجوزي عن طريق عبدالله بن أحمد بن حنبل، سألت أبي: ما تقول في علي ومعاوية؟ فأطرق ثم قال: إعلم أن علياً كان كثير الأعداء، ففتش أعداؤه له عيباً فلم يجدوا، فعمدوا إلى رجل قد حاربه، فأطروه كيداً منهم لعلي. فأشار بهذا الى ما اختلقوه لمعاوية من الفضائل مما لا أصل له وقد ورد في فضل معاوية أحاديث كثيرة، لكن ليس فيها ما يصح من طريق الإسناد، **وبذلك جزم اسحاق بن راهويه والنسائي وغيرهم** . انتهى

و قال ابن حجر العسقلاني في فتح الباري الجزء 7 صحيفة 104 ما نصه:" تنبيه: عبّر البخاري في هذه الترجمة بقوله ذكر، ولم يقل فضيلة ولا منقبة، لكون الفضيلة لا تؤخذ من حديث الباب، لأن ظاهر شهادة ابن عباس بالفقه والصحبة دالة على الفضل الكثير، وقد صنّف ابن أبي عاصم جزءاً في مناقبه، وكذلك أبو عمر غلام ثعلب، وأبو بكر النقّاش، **وأورد ابن الجوزي في الموضوعات بعض الأحاديث التي ذكروها**، ثم ساق عن اسحاق بن راهويه أنه قال: **لم**

يصح في فضائل معاوية شيء فهذه النكتة في عدول البخاري عن التصريح بلفظ منقبة اعتماداً على قول شيخه.

فأين وليد بن مصباح الطاهر عقربي من اسحاق بن راهويه والنسائي، والإمام أحمد الذي هو إمام السنة وهو المطلع اطلاعا واسعا إلى حد بعيد على هذه الأخبار، وقد سبق ما قاله.

كما جعل هذا الرجل حديث "**لا أشبع الله بطنه**" مدحا لمعاوية. لو كان الأمر كما زعم، فلماذا غضب أولئك المتعصبين لبني أمية ولمعاوية عندما دخل الحافظ النسائي الشام وذكر هذا الحديث أمامهم فضربوه على خصيته حتى مات, كما ذكر ذلك ابن العماد الحنبلي في "شذرات الذهب"؟

وقد شهد الذهبي بأن معاوية كان من الأكلة في "سير أعلام النبلاء الجزء الثالث" قال ما نصه: ولذلك عظم بطنه فتشوه فلذلك لم يستطع أن يخطب إلا قاعدا، وهو أول من خطب قاعدا في الإسلام"انتهى. وسنة النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يخطب قائما كما هو معلوم.

قال الغماري: "وقال الذهبي هناك في حق معاوية:"وقد كان معاوية معدودا من الأكلة"، وهذا اعتراف صريح من الذهبي في تحقيق دعاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم في معاوية، **كما أنه نص صريح في ركاكة وضعف تأويل حديث "لا أشبع الله بطنه" بحديث "اللهم من سببته أو شتمته أو لعنته فاجعلها له رحمة وزكاة" وكون ذلك منقبة لمعاوية!** وعلى كل حال فتأويل قوله صلى الله عليه وآله وسلم في حق معاوية "لا أشبع الله بطنه" – صحيح مسلم- بأن في هذا منقبة لمعاوية لحديث "اللهم من كنت لعنته أو سببته فاجعلها له رحمة" تأويل باطل لوجهين، الأول: أن الذهبي اعترف بأن معاوية كان من الأكلة وبالتالي أجيبت دعوة النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيه ولذلك كان عظيم البطن لم يستطع الخطبة إلا جالسا ويعني هذا أن دعوة النبي صلى الله عليه وآله وسلم أصابته، وهذا ذم واضح. والثاني: أن الحديث مقيد وليس على إطلاقه فقد رواه مسلم ورقمه "2603" من حديث أنس بن مالك بلفظ "فأيما أحد دعوت عليه من أمتي بدعوة ليس لها بأهل أن يجعلها له طهورا وزكاة" الحديث، فوجود جملة

"ليس لها بأهل" في إحدى روايات الحديث مع إمكانية أن يكون معاوية أهلا لها يجعل الحديث غير صالح للاستدلال به طبقا لما هو مقرر في علم الأصول من أن الدليل إذا تطرق إليه الاحتمال بطل به الاستدلال"...انتهى كلام الغماري

وهذا الحديث الذي مرّ ذكره وهو قوله عليه الصلاة والسلام "**إنما أنا بشر فأي المسلمين لعنته أو سببته فاجعله له زكاة وأجرا**" وهناك روايات أخرى، وكلها مقيدة بقوله صلى الله عليه وسلم: "وهو ليس لها بأهل" وهنا يحمل العام على الخاص كما نص الأصوليون.

ومعنى هذا الحديث أنه صلى الله عليه وسلم إن شتم إنسانا أو سبه أو جلده أو لعنه بناءً على ما ظهر له من حاله أنه مستحق لذلك، وفي باطن أمره هو ليس كذلك، كأن يأتي من المسلمين من ظاهرهم العدالة فيشهدوا على إنسان عند رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه فعل ما يستحق هذا الشتم أو اللعن أو الجلد من رسول الله له، وهو لم يدافع عن نفسه ولا ظهرت الحقيقة والرسول أخذ بقول هؤلاء الذين هم من الثقات العدول، فصدقهم وحكم عليه بظاهر ما قاله الشهود بناءً على قولهم، ولما يظهر من عدالتهم وصدقهم بحسب حالهم عند أداء الشهادة، فسبه الرسول أو لعنه أو جلده بحق، ولم يظهر له خلاف ذلك، فعن مثل هذا الذي هو في الباطن لا يستحق اللعن ولا الجلد ولا السب، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**فاجعلها له زكاة وأجرا**".اهـ

قال الرسول صلى الله عليه وسلم: "**إنما أنا بشر، وإنكم تختصمون إلي، فلعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فأقضي له على نحو ما أسمع، فمن قضيت له بحق مسلم فإنما هي قطعة من النار فليأخذها أو ليتركها**". رواه مالك و أحمد في مسنده ومتفق عليه (البخاري ومسلم) والأربعة (أبو داود، الترمذي، النسائي، ابن ماجه) عن أم سلمة.

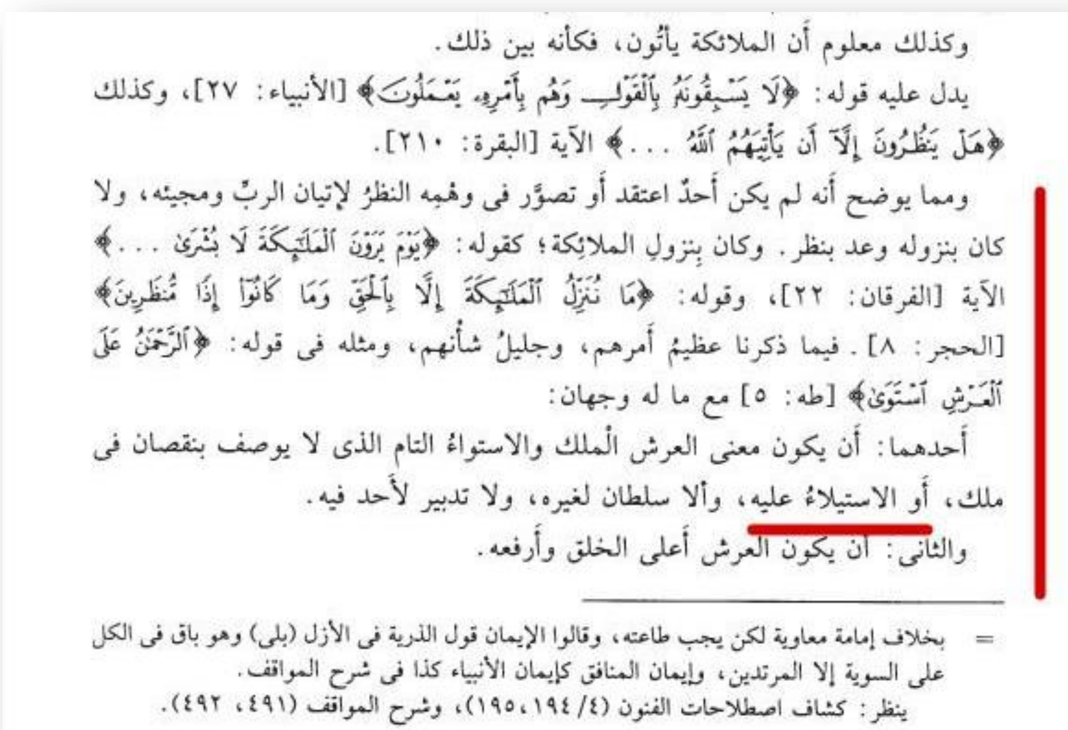
وأما استدلال وليد بن مصباح الطاهر عقربي بما رواه الترمذي عن عَبْدِ الرّحْمَنِ بن أبي عميرَةَ، وَكَان مِنْ أَصْحَابِ رَسولِ اللّهِ صلى الله عليه وسلم: عن النّبيّ صلى الله عليه وسلم أَنّهُ قال لِمُعَاوِيَةَ "اللّهُمّ اجْعَلْهُ هَادِيًا مَهْدِيّا وَاهْدِ بِهِ" وبقول الترمذي هذا حديث حسن غريب.

ففي تحفة الأحوذي للمباركفوري: قوله: (عن عبد الرحمن بن أبي عميرة) بفتح العين المهملة وكسر الميم، المزني. ويقال الأزدي. مختلف في صحبته، سكن حمص كذا في التقريب، وقيل في تهذيب التهذيب: له عند الترمذي حديث واحد في ذكر معاوية. قال الحافظ: قال ابن عبد البر: لا تصح صحبته ولا يصح إسناد حديثه انتهى. و أما قول الترمذي: "هذا حديث حسن غريب". فجوابه ما قال الحافظ: **إسناده ليس بصحيح** كما عرفت آنفاً في ترجمة عبد الرحمن بن أبي عميرة اهـ

- كما يعتبر فريد الباجي تأويل قوله تعالى: "**الرحمن على العرش استوى**" باستولى تأويل ضعيف وزعم أنه كلام الماتوريدي في كتابه التوحيد.

الجواب: الحقيقة أن الإمام الماتوريدي ما ضعف هذا التأويل وعباراته في كتاب التوحيد لا تدل على ذلك، بل الثابت عنه جواز تأويل استوى باستولى كما في كتابه تأويلات أهل السنة.

(انظر الصورة المرفقة من كتاب تأويلات أهل السنة للإمام الماتوريدي —تفسير سورة البقرة)



وكذلك معلوم أن الملائكة يأتون، فكأنه بين ذلك.

يدل عليه قوله: ﴿لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٧]، وكذلك ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ ...﴾ الآية [البقرة: ٢١٠].

ومما يوضح أنه لم يكن أحدٌ اعتقد أو تصوَّر فى وهمِه النظرُ لإتيان الربِّ ومجيئه، ولا كان بنزوله وعد بنظر. وكان بنزولِ الملائكة؛ كقوله: ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَىٰ ...﴾ الآية [الفرقان: ٢٢]، وقوله: ﴿مَا نُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذًا مُّنظَرِينَ﴾ [الحجر: ٨]. فيما ذكرنا عظيمُ أمرهم، وجليلُ شأنهم، ومثله فى قوله: ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] مع ما له وجهان:

أَحدهما: أَن يكون معنى العرش الْملك والاستواءُ التام الذى لا يوصف بنقصان فى ملك، أَو الاستيلاءُ عليه، وألا سلطان لغيره، ولا تدبير لأحد فيه.

والثانى: أن يكون العرش أعلى الخلق وأرفعه.

= بخلاف إمامة معاوية لكن يجب طاعته، وقالوا الإيمان قول الذرية فى الأزل (بلى) وهو باق فى الكل على السوية إلا المرتدين، وإيمان المنافق كإيمان الأنبياء كذا فى شرح المواقف.

ينظر: كشاف اصطلاحات الفنون (٤/ ١٩٤، ١٩٥)، وشرح المواقف (٤٩١، ٤٩٢).

- كما ذهب فريد الباجي إلى أن الأنبياء عليهم السلام معصومون من كل المعاصي كبيرها وصغيرها.

الجواب: قوله هذا قال به بعض العلماء كالإمام السبكي وغيره لكنه ليس القول المعتمد الراجح، و الصواب في ذلك ما ذهب إليه إمام أهل السنة **أبو الحسن الأشعري** من جواز وقوع الصغائر التي ليست فيها خسة ودناءة من الأنبياء عليهم السلام لكن ينبهون فورا للتوبة قبل أن يقتدي بهم فيها غيرهم. ولذلك قال الله تعالى لنبيِّه مُحَمَّدٍ في سورةِ محمَّد "**فاعلم أنَّه لا إله إلّا اللهُ واستغفِر لذنبك وللمؤمنينَ والمؤمنات**". ففي الآية إثباتُ فعل المعصية في حَقِّ سيِّدنا محمَّد وفي حَقِّ أمَّتهِ. وهي معصية حقيقيَّة صغيرة ليس فيها خِسَّةٌ ولا دناءة. وقد أُمِرَ الرسولُ بالاستغفار منها فاستغفَر. وقال الله تعالى عن سيدنا داود لما تعَجَّل في الحكم على أحدِ الخصمَين قبل التثبُّت في الدعوى: "**فغَفَرْنا له ذلك، وإنَّ له عندَنا لَزُلْفَى وحُسْنَ مَئاب**". يقول الحافظ الجليلُ تقيُّ الدين السُبْكِيُّ : النعجة في الآية هي النعجة الحقيقية، والخصمان من البشر.

فالقول بجواز الصغائر التي لا خِسَّةَ فيها ولا دناءةَ من الأنبياء هو القولُ المنصور. نَصَّ على ذلك كثيرٌ من العلماء منهم الفيروزآبادي كما في كتابه "بصائرُ ذوي التمييز" وابنُ الحاجب المالكيُّ والشيخ التلمساني في شرح لمع الأدلة، بل صرَّح الإمام النوويُّ بأنَّه مذهبُ الأكثرين.

قال القرطبي في تفسيره:" الأنبياء معصومون من الكبائر ومن الصغائر التي فيها رذيلة **إجماعا**."

وقال الثعالبي في تفسيره أيضا:" **وأجمعت الأمة** على عصمة الأنبياء من الكبائر ومن الصغائر التي فيها رذيلةٌ."

وقال أبو حيان الأندلسي في تفسير البحر المحيط: قال ابن عطية: "**وأجمع العلماء** على أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام معصومون من الكبائر ومن الصغائر التي هي رذائل."

وقال ابن علان الصديقي في دليل الفالحين شرح رياض الصالحين: "الأنبياء معصومون من الكبائر بالإجماع، ومن الصغائر التي فيها رذائل."

وقال الشيخ التلمساني في شرح لمع الأدلة ما نصه" :لا يجوز عليهم الكبيرة البته ويجوز تعمد

الصغيرة بشرط عدم الإصرار, ولا يجوز منهم صغيرة تدل على خساسة النفس ودناءة الهمة كتطفيف حبة وسرقة باقة بقل "اهـ

وقال القاضي عياض في الشفا ما نصه:" وَأَمَّا الصَّغَائِر –أي التي ليست فيها خسة – فَجَوَّزَهَا جَمَاعَة مِن السَّلَف وَ غَيْرِهِم عَلَى الْأَنْبِيَاء وَهُو مَذْهب أبي جَعْفَر الطَّبَرِيّ وَ غَيْرُه مِن الْفُقَهَاء وَ الْمُحَدّثِين وَ الْمُتَكَلّمِين.

–كما حرف فريد الباجي قاعدة:"لازم المذهب ليس بمذهب" وجعلها عامة في اللازم الخفي والازم الظاهر وعليه فهو لا يحكم بكفر الوهابية المجسمة لأنهم يتبرؤون من التجسيم الصريح بزعمه.

والرد على هذه الشبهة بأن يقال:

أولا: قال الإمام الدسوقي في حاشيته على الشرح الكبير (301/4) ما نصه :

قوله: (كقوله: الله جسم متحيز) أي وكقوله: العزير أو عيسى ابن الله.

قوله: (أو فعل يتضمنه) إسناد التضمن للفعل يدل على أن المراد هنا الالتزام لا حقيقة التضمن الذي هو دلالة اللفظ على جزء المعنى الموضوع له.

قوله: (ويستلزم الخ) أي **وأما قولهم: لازم المذهب ليس بمذهب فمحمول على اللازم الخفي**».اهـ..

و كلام الشيخ الدسوقي هذا جاء تعقيبا على كلام الشيخ محمد عليش الذي قاله في كتاب منح الجليل ونصه: وسواء كفر بقول صريح في الكفر، كقوله: أكفر بالله أو برسول الله أو بالقرآن أو الإله اثنان أو ثلاثة أو المسيح ابن الله أو العزيز ابن الله أو بلفظ يقتضيه أي **يستلزم اللفظ الكفر استلزاما بينا**، كجحد مشروعية شيء مجمع عليه معلوم من الدين ضرورة، فإنه يستلزم تكذيب القرآن أو الرسول، **وكاعتقاد جسمية الله وتحيزه،** فإنه يستلزم حدوثه واحتياجه لمحدث ونفي صفات الألوهية عنه جل جلاله وعظم شأنه»اهـ.

ثانيا: ليس شرطا أن يقول المجسم "الله جسم كالأجسام" حتى يعلم كفره بل لو قال كلاما يستلزم التجسيم استلزاما بينا يحكم بكفره كما لو قال مثلا: "الله جاري اللصيق" لأن الملاصقة من صفات الأجسام. والدليل على ذلك ما نقله أحد القضاة المتقدمين في تكفير المجسم وهو القاضي أبو علي المحسن بن علي بن محمد التنوخي المتوفى سنة 384 للهجرة، فقد قال في كتابه "نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة" (153/2-154) ما نصه:

"حضرت مجلس أبي محمد المهلبي، وكانت العامة ببغداد قد هاجت في أيام وزارته وعظمت الفتنة وقبض على جماعة من العيارين وحملة السكاكين وجعلهم في زوارق مطبقة وحملهم إلى بيروذ وحبسهم هناك. فاستهانوا بالقصة وكثُف أمرهم وكثُر كلام القصّاص في الجوامع ورؤساء الصوفية فخاف من تجديد الفتنة، فقبض على خلق منهم وحبسهم وأحضر أبا السائب قاضي القضاة إذ ذاك، وجماعة من القضاة والشهود، والفقهاء وكنت فيهم لمناظرتهم، وأصحاب الشرط لنأمن مضرتهم إذا قامت الحجج عليهم.

فاتفق أن بُدئ برجل من رؤساء الصوفية يعرف بأبي إسحق بن ثابت ينزل بباب الشام أحد الربانيين عند أصحابه، فقال له: **بلغني أنك تقول في دعائك "يا واحدي بالتحقيق يا جاري اللصيق" فمن لا يعلم بأن الله لا يجوز أن يوصف بأنه لصيق على الحقيقة فهو كافر لأن الملاصقة من صفات الأجسام، ومن جعل الله جسمًا كفر فمن يكون محله في العلم هذا يتكلم على الناس!!**" اهـ

أما عند فريد الباجي: من قال كلاما يستلزم الجسمية،كقول الشخص "لله يد على الحقيقة" ثم ثم عقبه بقول: "لا كأيدينا من غير تشبيه بخلقه" فهذا لا يكفر.

وهذا الكلام فيه مخالفة لما كان عليه أكابر العلماء كالإمام **أحمد ابن حنبل** الذي قال "**من قال الله جسم لا كالأجسام كفر**" رواه الحافظ بدر الدين الزركشي في كتابه تشنيف المسامع وابن حمدان في "نهاية المبتدئين" ومثل ذلك قال **الكمال بن الهمام الحنفي** في شرح فتح القدير باب

صفة الأئمة في المجلد الأول و **أبو الحسن علي بن خلف بن بطال** في شرحه على البخاري **والشيخ سراج الدين ابن الملقن الشافعي** المتوفى من 804هـ الذي قال في كتابه التوضيح المجلد 33 ص 256 ما نصه: "**فإنه يكفر من يقول عن الله جسم لا كالأجسام**" . كذلك قال **ابن بلبان الدمشقي الحنبلي** في كتابه مختصر الإفادات ص 490 ما نصه: "**ولا يشبه شيئًا ولا يشبهه شيء، فمن شبهه بشيء من خلقه فقد كفر كمن اعتقده جسمًا أو قال إنه جسم لا كالأجسام فلا تبلغه سبحانه الأوهام**".

و هذا بدر الدين الزركشي يفند كلام ما نقله بعض المتأخرين من الأشاعرة من ترك تكفير من قال "الله جسم لا كالأجسام" فقال في تشنيف المسامع: "ونقل صاحب الخصال من الحنابلة عن أحمد أنه قال: من قال جسم لا كالأجسام كفر ونقل عن الأشعرية أنه يفسق **وهذا النقل عن الأشعرية ليس بصحيح**" اهـ

فهو يبرىء الأشاعرة من تفسيق القائل بأنه جسم لا كالأجسام، وينسب إليهم تكفيره.وهذا الإمام السبكي يرد على فريد الباجي كلامه فيقول في كتابه السيف الصقيل ما نصه:
"**ومن أطلق القعود وقال إنه لم يرد صفات الأجسام قال شيئا لم تشهد به اللغة فيكون باطلا وهو كالمقر بالتجسيم المنكر له فيؤخذ بإقراره ولا يفيد إنكاره**" انتهى

ثالثا: ليعلم فريد الباجي أن أكثر المجسمة يمرون الآيات على ظاهرها ويأخذون بهذه الظواهر فيثبتون لله يدًا ورجلاً ووجهًا وجنبًا وجلوسا وقعودا ويقولون :"من غير تشبيه بخلقه" وهذا لا ينجيهم من الكفر كما قال العلامة ابن خلدون التونسي في كتابه المقدمة : "وأما المجسمة ففعلوا مثل ذلك في إثبات الجسمية، وأنها لا كالأجسام. ولفظ الجسم لم يثبت في منقول الشرعيات. وإنما جرأهم عليه إثبات هذه الظواهر، فلم يقتصروا عليه، **بل توغلوا وأثبتوا الجسمية، يزعمون فيها مثل ذلك وينزهونه بقول متناقض سفساف، وهو قولهم: جسم لا كالأجسام**. والجسم

في لغة العرب هو العميق المحدود وغير هذا التفسير من أنه القائم بالذات أو المركب من الجواهر وغير ذلك، فاصطلاحات للمتكلمين يريدون بها غير المدلول اللغوي. **فلهذا كان المجسمة أوغل في البدعة بل والكفر**. حيث أثبتوا لله وصفاً موهماً يوهم النقص لم يرد في كلامه، ولا كلام نبيه. انتهى

وقال أبو الحسن علي بن خلف بن بطال في شرحه على البخاري الجزء العاشر ص: 432 واستدلوا على ذلك بهذه الآيات كما استدلوا بالآيات المتضمنة لمعنى الوجه واليدين ووصفه لنفسه بالإتيان والمجيء والهرولة في حديث الرسول **وذلك كله باطل وكفر من متأوله**. انتهى

وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني في الدرر الكامنة ما نصه: "ونودي بدمشق "من اعتقد عقيدة ابن تيمية حلّ دمه وماله خصوصاً الحنابلة"، فنودي بذلك وقرئ المرسوم وقرأها ابن الشهاب محمود في الجامع " اهـ

وما نقله الحافظ رد على فريد الباجي الذي يستدل بكلامه على توبة ابن تيمية وأغفل هذا النص في حكم من يعتقد معتقد ابن تيمية، فحكم على أتباعه من المجسمة الوهابية الذين ينشرون كتبه و ينتصرون لمعتقده بالاسلام والعياذ بالله.

رابعا: العجب منه كيف يقول بعدم كفر المجسمة ثم ينشر مقالا تحت عنوان " الفرق بين مشركي قريش و الوهابية أدعياء السلفية في نوعية الصنم الذي يعبدونه" ويصدر كلامه بقوله " **في الحقيقة كلاهما يعبد صنما**" ويستدل بما في كتبهم فيقول عنهم "إلاههم له أيدي حقيقية لا نعلم عددها"!!.

و قال في مقال آخر تحت عنوان " الوهابيون أخطر على الاسلام والمسلمين من اليهود لماذا؟" ما نصه: أن الله تعالى في مفهومهم هو صنم كبير من نور ومع ذلك له وجه حقيقي وأعين حقيقية وأرجل حقيقية وأصابع وجنب واحد بل قال ابن تيمية: لله يد مفهومها في حقه كمفهومها في حقنا لكن مع الاختلاف لأنه إله ونحن مخلوقون. وهذا تجسيم للذات الإلهية خلافا لما أجمع عليه السلف والخلف. وأنا أنقل إليكم لفظ ابن تيمية من الفتاوى 45/3 حيث قال فَكَذَلِكَ لَمَّا وَصَفَ نَفْسَهُ بِأَنَّهُ خَلَقَ آدَمَ بِيَدَيْهِ لَمْ يُوجِبْ ذَلِكَ أَنْ يَكُونَ ظَاهِرُهُ غَيْرَ مُرَادٍ لِأَنَّ مَفْهُومَ ذَلِكَ فِي حَقِّهِ كَمَفْهُومِهِ فِي حَقِّنَا بَلْ صِفَةُ الْمَوْصُوفِ تُنَاسِبُهُ. انتهى

كل هذا الضلال تنفق عليه الوهابية الأموال الطائلة ليطبع وليجعل في مجلدات فاخرة ولينشر بين المسلمين, بل و يرسلون الدعاة لأصقاع المعمورة لتعليمه للناس ومع ذلك فريد الباجي يقول عنهم مسلمين موحدين و العياذ بالله.

كما قال في مقال له أيضا بعنوان " جواب دار الحديث الزيتونية عمن أنكر عليها عدم تكفير أدعياء السلفية مع لازم كلامهم التجسيم الذي يقتضي الكفر" فيما يزعمه من شروط لتكفير المعين ما نصه:

"الشرط الثالث:أن يكون فاهما لمعنى مدلول الألفاظ التي يتفوه بها،وقد رأينا أدعياء السلفية ينكرون إثبات الجارحة لله تعالى،وينفون عن الله تعالى الجسمية ويقولون: أنتم تفترون علينا". انتهى.

والجواب على هذه الشبهة هو التالي: قوله: "**أن يكون فاهما لمعنى مدلول الألفاظ التي يتفوه بها**". هذا الكلام صحيح وهذا قيد مهم فيما يخص الكفر الصريح. وعليه فمن تكلم بكفر صريح وهو يفهم المعنى كفر. أما من كان جاهلا باللغة العربية ولا يعرف المعنى الصريح من الكلمة التي قالها بل يظن أن معناها غير ذلك فلا يكفر. كالذي يفهم من كلمة جسم "موجود"

و لا يفهم منها معناها اللغوي أو الشرعي. فهذا لو قال عن الله جسم بمعنى أن الله موجود لا يكفر, و مع ذلك ينبغي تنبيهه.

أما ما عقب عليه فريد الباجي من كلام فهو تمويه منه, وهو قوله " وقد رأينا أدعياء السلفية ينكرون إثبات الجارحة لله تعالى،وينفون عن الله تعالى الجسمية ويقولون: أنتم تفترون علينا".

وجوابه أن يقال:من كان يفهم من كلمة جسم المعنى الذي وضعت له في أصل اللغة وأطلقها على الله فلما روجع في ذلك أنكر ذلك فهذا لا ينفعه انكاره لأنه أطلق الكلمة وهو عالم بمعناها. الجسم في لغة العرب معناه ما له طول و عرض و سمك و تركيب. فمن قال عن الله جسم و هو يفهم هذا المعنى كفر و لو أنكر و لو قال "لا كالأجسام" هذا كأنه قال "الله مركب لا كالمركبين" والعياذ بالله. قال السبكي كما مر آنفا:" **ومن أطلق القعود وقال إنه لم يرد صفات الأجسام قال شيئا لم تشهد به اللغة فيكون باطلا وهو كالمقر بالتجسيم المنكر له فيؤخذ بإقراره ولا يفيد إنكاره**".وقد قال أبو جعفر الطحاوي " ومن وصف الله بمعنى من معاني البشر فقد كفر".

فالحق أحق أن يتبع يا فريد الباجي، ولكن " حُبُّكَ لِلشيء يُعْمِي وَيُصِمُّ " وفي لفظ: " حُبُّكَ الشيء" كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم، رواه أحمد في مسنده والبخاري في التاريخ وأبو داود عن أبي الدرداء.

خامسا: ما يزعمه من تورع عن التكفير العشوائي فمراده به رمي من يكفرون المجسمة بالغلو و التطرف، على أن أهل السنة عامة يتورعون عن التكفير العشوائي و الشمولي. فكما أن إخراج مسلم من الملة عظيم في الدين، كذلك إدخال كافر فيها عظيم وهذا كلام إمام الحرمين رحمه الله كما نقل عنه ابن حجر في الفتح. فأهل السنة لا يداهنون في أمر الدين.

- كما يعتبر فريد الباجي أن ابن تيمية رجع عن مسألة القول بقدم العالم مستدلا بما نقله ابن حجر في الفتح ، بل يعتبره من الأشاعرة كما في الدرر الكاملة.

الجواب: ابن حجر رحمه الله نقل عن ابن تيمية التوبة في بعض المسائل ولم ينقل عنه توبته من كل المسائل التي خرق فيها الأصول. قال المحدث الحافظ ولي الدين العراقي في كتابه "الأجوبة المرضية على الأسئلة المكية" عن ابن تيمية :"إنه خرق الإجماع في مسائل كثيرة قيل تبلغ ستين مسألة بعضها في الأصول وبعضها في الفروع خالف فيها بعد انعقاد الإجماع عليها".

فهل يستطيع فريد الباجي اثبات تراجعه عن القول بفناء النار وعن القول بأن الملائكة أعوان الله أو حتى عن تكفيره لسيدنا شعيب؟

أهل السنة في حكمهم على ابن تيمية بالكفر متبعون لكلام السبكي الذي عاصره ورد عليه وهو أعلم أهل زمانه وأحفظهم. قال تقي الدين السبكي في الدرة المضيئة في الرد على ابن تيمية ما نصه:" **وكل ذلك وان كان كفرا شنيعا مما تقل جملته بالنسبة لما احدث في الفروع**"

أما الحافظ ابن حجر العسقلاني فمتأخر عن السبكي وهو مجرد ناقل وكلامه الذي نقل فيه المدح والذم لا تقوم به حجة لمحتج فقد شهد عليه أهل عصره بالكفر. فهذا الإمام أبو حيان الأندلسي في تفسير النهر الماد شهد على ابن تيمية بقوله أن الله يجلس محمدا معه على العرش فما يفضل منه قدر أربع أصابع، والعياذ بالله من الكفر، فلا تنفعه بعد هذا عبارة مدح وهو كافر فليست العبرة بالشعارات.

وقال الفقيه الشافعي ابن حجر الهيتمي في الفتاوى الحديثية ما نصه: "ابن تيمية عبد خذله الله وأضله وأعماه وأصمه وأذله، وبذلك صرّح الأئمة الذين بينوا فساد أحواله وكذب أقواله، ومن أراد ذلك فعليه بمطالعة كلام الإمام المجتهد المتفق على إمامته وجلالته وبلوغه مرتبة الاجتهاد أبي الحسن السبكي وولده التاج والشيخ الإمام العز بن جماعة وأهل عصرهم وغيرهم من الشافعية والمالكية والحنفية".

إلى أنْ قال : "ولا زال يتبع الأكابر حتى تمالأ عليه أهل عصره ففسقوه وبدعوه ، **بل كفره كثير منهم**.

وقال ابن رجب في حق ابن تيمية كما نقله ابو بكر الحصني الدمشقي في كتابه "دفع شبه من شبه وتمرد ونسب ذلك إلى الإمام أحمد": وكان **الشيخ زين الدين بن رجب الحنبلي ممن يعتقد كفر ابن تيمية** ، وله عليه الرد ، وكان يقول بأعلى صوته في بعض المجالس ، معذور السبكي . يعني في تكفيره. انتهى

وقد نقل محمد زاهد الكوثرى في تكملة السيف الصقيل تكفير قضاة المذاهب الأربعة فى مصر لابن تيمية.

وهذا الإمام علاء الدين البخاري أيضا كفره وكفر كل من سمّى ابن تيمية بشيخ الاسلام (أي من عرف حال ابن تيمية من التجسيم ثم قال بأنه شيخ الاسلام).

ثم إن ابن تيمية كان في كل مرة يستتاب فيها إلا ويعود إلى ما كان عليه، فقد ثبت عنه أنه تاب من مسئلة الطلاق مرات ثم عاد وشهد عليه أناس أنه أفتاهم بذلك . لذلك قال له صفي الدين الهندي الأرموي المتوفي عام 715 هـ .(و هو من كبار المذهب الأشعري و قد ناظر ابن تيمية في مجلس حوار بينهما): ما أراك يابن تيمية إلاّ كالعصفور حيث أردت ان اقبضه من مكان ، فرّ الي مكان آخر.

وقال عنه العلامة القضاعي العزامي في فرقان القرءان :"وبينما نراه يتكلم بلسان أهل الحق المنزهين إذا بك تراه قد انقلب جهويا وسمى كل من لا يقول بذلك معطلا وزنديقا وكافرا وقد جمع تلميذه ابن زفيل – أي ابن القيم – سفاهاته ووساوسه في علم أصول الدين في قصيدته النونية، وبينما تراه يسب جهما والجهمية إذا بك تراه يأخذ بقوله في أن النار تفنى وأن أهلها ليسوا خالدين فيها أبدا ".

أما فيما يخص توبته سنة 707 فننقل ما يقتضي كفره بعد تلك السنة على ما ذكره الإمام تقي الدين الحصني في دفع الشبه ونصه: **وفي سنة اثنتين وعشرين وسبعمائة** في السادس عشر من شعبان قدم بريدي من الديار المصرية ومعه مرسوم شريف باعتقال ابن تيمية، فاعتقل في قلعة دمشق، وكان السبب في اعتقاله وحبسه أنّه قال: لا تُشدّ الرحال إلاّ الي ثلاثة مساجد، وإنّ زيارة قبور الأنبياء لا تُشد إليها الرواحل كغيرها، كقبر إبراهيم الخليل وقبر النبي صلى الله عليه و وسلم. ثمّ إنّ الشاميّن كتبوا فُتيا أيضاً في ابن تيميّة لكونه أوّل من أحدث هذه المسألة، التي لا تصدر إلاّ ممّن في قلبه ضغينة لسيّد الأولين والآخرين فكتب عليها الإمام العلاّمة برهان الدين الفزاريّ نحو أربعين سطراً بأشياء، وآخر القول **أنّه أفتي بتكفيره ووافقه علي ذلك الشيخ شهاب الدين بن جهبل الشافعي**، وكتب تحت خطّه: كذلك المالكي وكذلك كتب غيرهم ووقع الأتّفاق علي تضليله بذلك وتبديعه وزندقته.ثمّ أراد النائب أن يعقد لهم مجلساً، ويجمع العلماء والقضاة، فرأي أنّ الأمر يتّسع فيه الكلام، ولابدّ من إعلام السلطان بما وقع، فأخذ الفتوي وجعلها في مطالعه وسيّرها فجمع السلطان لها القضاة، فلمّا قرئت عليهم أخذها قاضي القضاة بدر الدين ابن جماعة، وكتب عليها: القائل بهذه المقالة ضالّ مبتدع ووافقه علي ذلك الحنفي والحنبلي، **فصار كفره مُجمعاً عليه**.انتهى

وبعد هذه الفتوى بقي ابن تيمية في سجنه ومات على ذلك. قال الصفدي في أعيان العصر وأعوان النصر: ولما كان في يوم الاثنين بعد العصر سادس شعبان سنة ست وعشرين وسبعمائة في أيام قاضي القضاة جلال الدين القزويني تكلموا معه في مسألة الزيارة وكتب في ذلك إلى مصر، فورد مرسوم السلطان باعتقاله في القلعة فلم يزل بها إلى أن مات في ليلة الاثنين عشري ذي القعدة سنة ثمان وعشرين وسبعمائة بقلعة دمشق في القاعة التي كان بها محبوسا.

(انظر الصور المرفقة من كتاب دفع شبه من شبه و تمرد لتقي الدين الحصني)

مسألة الطلاق الذى يفتى بها ابن تيمية وأمر بعقد مجلس لـــه بـــدار السعادة وحضر القضاة وجماعة من الفقهاء وحضـــر ابـــن تيميـــة وسألوه عن فتاويه في مسألـــة الطلاق وكونهم نهـــوه وما انتهـــى ولا قبل مرسوم السلطان ولا حكم الحكام بمنعه فأنكر فحضر خمسة نفر فذكروا عنه أنه أفتاهم بعد ذلك فأنكر وصـــمم علـــى الإنكـــار فحضر ابن طليش وشهود شهدوا أنه أفتى لحاماً أسمه قمر مسلمانى فى بستان ابن منجا فقيل لابن تيمية : أكتب بخطك أنك لا تفتى بها ولا بغيرها فكتب بخطه أنه لا يفتى بها وما كتـــب بغيرهـــا فقـــال القاضى نجم الدين ابن صصرى حكمت بحبسك واعتقالك فقال لـــه حكمك باطل لأنك عدوى فلم يقبل منه وأخذوه واعتقلوه فـــي قلعـــة دمشق وفى سنة إحدى وعشرين وسبعمائة يوم عاشوراء أفرج عن ابن تيمية من حبسه بقلعة دمشق وكانت مدة اعتقاله خمسة أشـــهر ونصف . وفى سنة اثنتين وعشرين وسبعمائة فى السادس عشر من شعبان قدم بريدى من الديار المصرية ومعه مرسوم شريف باعتقال ابن تيمية فاعتقل في قلعة دمشق وكان السبب فى اعتقاله وحبســـه أنه قال (لا تشد الرحال إلا ثلاثة مساجد ،وإن زيارة قبور الأنبياء لا تشد إليها الرواحل كغيرها كقبر إبراهيم الخليل وقبر النبى صلى الله عليه وسلم) ثم إن الشاميين كتبوا فتياً أيضاً فى ابن تيمية لكونه أول من أحدث هذه المسألة التى لا تصدر إلا ممن فى قلبه ضغينة لسيد الأولين والآخرين فكتب عليه الإمام العلامـــة برهـــان الـــدين الفزارى نحو أربعين سطراً بأشياء وآخر القول أنه أفتـــى بتكفيـــره ووافقه على ذلك الشيخ شهاب الدين ابن جهبل الشافعى وكتب تحت خطه كذلك المالكى وكذلك كتب غيرهم ووقع الاتفاق على تضـــليله

بذلك وتبديعه وزندقته ثم أراد النائب أن يعقد لهم مجلساً ويجمع العلماء والقضاة فرأى أن الأمر يتسع فيه الكلام ولابد من إعلام السلطان بما وقع فأخذ الفتوى وجعلها فى مطالعه وسيرها فجمع السلطان لها القضاة فلما قرئت عليهم أخذها قاضى القضاة بدر الدين بن جماعة وكتب عليها " القائل بهذه المقالة ضال مبتدع " ووافقه على ذلك الحنفى والحنبلى فصار كفره مجمعاً عليه[١] ثم كتب كتاب إلى دمشق بما يعتمده نائب السلطنة فى أمره وفى يوم الجمعة عاشر شهر شعبان حضر كتاب السلطان إلى نائب البلد وأمره أن يقرأ على المدة فى يوم الجمعة فقرئ وكان قارئ الكتاب بدر الدين بن الأعزازى الموقع والمبلغ ابن النجيبى المؤذن ومضمون الكتاب بعد البسملة . أدام الله تعالى نعمه ونوضح لعلمه الكريم ورود مكاتبته التى جهزها بسبب ابن تيمية فوقفنا عليها وعلمنا مضمونها في أمر المذكور وإقدامه على الفتوى بعد تكرير المراسيم الشريفة بمنعه حسب ما حكم به القضاة وأكابر العلماء وعقدنا بهذا السبب مجلساً بين أيدينا الشريفة ورسمنا بقراءة الفتوى على القضاة والعلماء . فذكروا جميعاً من غير خلف أن الذى أفتى به ابن تيمية فى ذلك خطأ مردود عليه وحكموا بزجره وطول سجنه ومنعه من الفتوى مطلقاً وكتبوا خطوطهم بين أيدينا على ظاهر الفتوى المجهزة بنسخة ما كتبه ابن تيمية وقد جهزنا إلى الجناب العالى طى هذه المكاتبة فيقف على حكم ما كتب به القضاة الأربعة ويتقدم اعتقال المذكور فى قلعة دمشق ويمنع من الفتوى مطلقاً ويمنع الناس من الاجتماع به والتردد إليه تضييقاً عليه

(١) لينظر هذا المغرورون ا هـ مصححه

– ومن جملة مخالفات فريد الباجي أيضا لمنهج أهل السنة غلوه في الرسول صلى الله عليه وسلم وادعاءه أن النور النبوي هو أول المخلوقات خلقا مخالفا بذلك القاعدةِ الحديثيّةِ التي تَنُصُّ على أنَّ الحديثَ الضعيفَ إذا خالف الحديثَ الثابتَ فلا حاجةَ إلى التأويل، بل يُعْمَلُ بالثابتِ ويُتْرَكُ الضعيف. – وهو موضوع رسالتنا –

– كما يزعم فريد الباجي الدفاع عن البوطي في مسألة تسمية الله بالعلة، وينكر على أهل السنة قولهم أن تسمية الله بالعلة كفر.

الجواب: قال الشيخ النابلسي رحمه الله بكفر من يسمي الله علة. ومثله قال الإمام ركن الإسلام علي السُّغدي في كتاب "النتف في الفتاوى"، والمفسر أبي البركات النسفي.

وقول من قال أن العلة التي يتكلم عنها النسفي هو المعنى الفلسفي للكلمة التي كانت من فتن زمانه فهو كلام بعيد عن الصواب، فهذا الشيخ أحمد بن محمد العدوي الأشعري المشهور بـ " الدردير " يقول:

والفِعلِ فالتأثيرُ ليسَ إلا ... للواحِدِ القَهَّار جلَّ وعَلا
ومن يَّقُل بالطَّبعِ أو بالعلَّةْ ... فذاكَ كُفرٌ عند أهلِ المِلَّةْ
ومَن يَقُل بِالقُوَّةِ المودَعَةِ ... فَذَاكَ بِدْعِيٌّ فلا تَلتَفِتِ

والعجب كيف يدعو فريد الباجي إلى تحسين الظن بالبوطي في قوله عن الله علة، ومعلوم أن الكلام إذا كان مما يقبل تأويلاً قريباً محتملاً فإنه يحسن الظن بقائله، هذا إن لم تكن هناك قرائن متضافرة تدل على أنه أراد المعنى الكفري وإلا فلا يجنح إلى تحسين للظن. أما إن كان الكلام كفراً صريحا فلا يُقبل فيه التأويل كما قال حبيب ابن ربيع وهو من أصحاب الوجوه من المالكية. فيحكم عندها على الكلام بأنه كفر ويحكم بكفر من ثبت أنه قاله.

ثم عقب فريد الباجي بعد ذلك بقوله : "إذا وجدت لمسلم تسع و تسعون قولا بكفره،وقولا واحدا بعدم كفره،نقول بعدم كفره".

والجواب على هذه الشبهة أن يقال: أن المعروف بين الفقهاء في كتبهم أنه إذا كان للكلمة وجه واحد لترك التكفير ووجوه تقتضي التكفير يأخذ المفتي بالقول بترك التكفير إلا أن يُبين قائلها أنه أراد الوجه الكفريّ, وهذا محله الكلمات التي لها معنيان أو أكثر من معنيين، بعض تلك المعاني كفر وبعضها ليست كفرا كقول القائل "هذا خير من الله" فهذه الكلمة تحتمل معنيين أحدهما هذا خير أي "نعمة من الله"، والآخر" هذا أفضل من الله". فالأول شيء يوافق الشرع, والثاني كفر بالاتفاق. وليس مراد الفقهاء أنه إذا قال الشخص كلمة معناها صريح في الكفر ليس لها إلا هذا المعنى ثم اختلف الناس في أمره فقال بعضهم كفر وقال بعضهم لم يكفر، ليس هذا محل المسئلة التي قالها الفقهاء. فيا للعجب ما أجرأ هذا الرجل على الافتراء على العلماء ووضع القواعد في غير موضعها.

- كما أنه لايجيز التكفير العيني أو لطائفة معينة بمجرد قول الكفر مع جزمه بكفر الكلام ،و يزعم أن ذلك من مهام القضاء

الجواب: إن كلام هذا الرجل ليس من الدِّين في شيء، وهذا القول المخالف للشريعة لا يثبت لقائله علما ولا فهما في الدين ولا ورعا، وهو قولٌ لا طائل تحته وقائله ليس أحرص على دين الله من رسول الله، ولا من أبي بكر ولا من عمر، ولا من عثمان ولا من عليّ رضي الله عنهم، وقائل هذا القول الفاسد الكاسد ليس بأورع من أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد والأوزاعي رضي الله عنهم، فكل هؤلاء قد كفّروا المعيّن الَّذي ثبت كفره، وهم أئمة الهدى، فإن لم يكونوا هم قدوتنا فمن قدوتنا؟! وإن لم تؤخذ أحكام الدين عنهم فعمن تؤخذ؟

وهل يقبل فريد الباجي وأتباعه الذين قالوا هذا القول الهراء أن يدّعوا على من قذفهم بالزنى فيقولوا: ندّعي على لفظ القذف وليس على القاذف ؟! أما يشتكون عليه بعينه؟! ويقال لهم: لو أن إنسانًا سرق لكم أموالكم أكنتم تدّعون عليه أم على السرقة؟ ولو أن إنسانًا قتل لكم أولادكم أكنتم تدعون على القاتل بعينه أم على الفعل الذي هو القتل؟ فإن كنتم في مثل هذه الأمور التي هي كلا شيء بالنسبة للكفر لا تقبلون إلا الإدعاء على الفاعل بعينه فلماذا تهاونتم

في أمر الكفر فسكتم عن القول لمن كفر "كفرت ارجع إلى الإسلام بالشهادتين"؟ وإن كان لا يقبل الرجوع إلى الإسلام قلتم للناس: "هذا كافر"، تحذيرًا لهم منه؟! ثم في قولكم: "لا نكفر المعين" معناه أن يُترك على الكفر، وأن لا يؤمر بالشهادتين، وهذا غَشٌّ للناس وتحريفٌ للدين.

أما الدليل على جواز تكفير المعين من القرآن قول الله تعالى: **قال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك** . سورة الكهف .

فهذا الذي أنكر البعث وأنكر الجزاء والحساب وأنكر الآخرة قال له صاحبه في وجهه "كفرت بالله" وهذا تكفير للمعين، والقرآن أورده وما عاب عليه.

وأما الدليل على جواز التكفير من كلام العلماء, فقد جاء في كتاب "الإعلام بقواطع الإسلام" لابن حجر الهيتمي ص 9 ما نصه: "ومعنى كفّر الرجل أخاه نسبته إياه إلى الكفر، بصيغة الخبر نحو: "أنت كافر"، أو بصيغة النداء نحو: "يا كافر"، أو باعتقاد ذلك فيه كاعتقاد الخوارج تكفير المؤمنين بالذنوب، وليس من ذلك تكفير جماعة من أهل السنة أهل الأهواء لما عندهم من الدليل على ذلك"، ثم قال ابن حجر في ص 10: "ومع ذلك فالموافق للقواعد أنه حيث ثبت كفره باطنا كان حكمه حكم المرتد، **ولا تعزير على من قال له يا كافر**".اهـ

وقال الحافظ البيهقي في شعب الإيمان: "وأما البراءة من التشبيه بإثبات أنه ليس بجوهر ولا عرض، فلأن قوما زاغوا عن الحق فوصفوا البارئ جل وعز ببعض صفات المحدثين، فمنهم من قال: إنه جوهر. ومنهم من قال: إنه جسم. ومنهم من أجاز أن يكون على العرش قاعدا كما يكون الملك على سريره، **وكل ذلك في وجوب اسم الكفر لقائله** كالتعطيل والتشريك". انتهى

كما ثبت أيضا أن أبا حنيفة قال لجهم "يا كافر" و كذلك الإمام الأوزاعي كفر غيلان القدري.

وكذلك الإمام السكوني نزيل تونس كفر الزمخشري فقال في كتابه "لحن العامة والخاصّة في المعتقدات" ما نصه: وأما تفسير الزمخشري فأكثره اعتزال وفيه مواضع انتهى فيها إلى الكفر والعياذ بالله"

وكلام السكوني فيه رد أيضا على فريد الباجي الذي يقول بترك كفر المعتزلة وسيأتي بيانه.

و ما يزعمه فريد الباجي من أن تكفير المعين هو من مهام القضاء فقط فهو شرط باطل.
الجواب: كل شرط ليس من شرع الله فهو باطل ولو كان مائة شرط. فكثير من العلماء ثبت أنهم كفروا أشخاصا على التعيين ولم يكونوا قضاة.

والدليل أنه لا يشترط حكم القاضي حتى يحكم بكفر من صدر منه كفر صريح حديث رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلّم "**من قال لأخيه: يا كافر، فقد باء بها أحدُهما**".
ففي هذا الحديث دليل على أن الشخص إن كفر شخصا آخر بحق لم يخالف الشرع بهذا , والرسول ما اشترط أن يكون الشخص الذي قال لأخيه يا كافر أن يكون قاضيا.
فقول الرسول "إن كان كما قال" معناه إن كفّره بحق فلا يكفر، وأما إذا كفره بغير حق وبلا تأويل هو يكفر، فإذًا في قوله عليه السلام "إن كان كما قال" معناه يجوز تكفير المعيّن الَّذي كفرَ، وإلا فما معنى قول النبي "إن كان كما قال"؟
الشخص إن كان قاضيا أو غيره له أن يكفر المعين الَّذي ثبت كفره. بل في تكفيره فوائد دينية منها: أن يعرف نفسه أنه كفر ليرجع إلى الإسلام بالشهادتين. ومنها أن يعرف الناس أن هذا الإنسان كافر فلا يصلون وراءه، ولا يصلون عليه إذا مات، ولا يدفنوه في مقابر المسلمين، ولا يأكلون ذبيحته،ولا يشهدونه على الأنكحة، وإلا فإن شهد فهذه الأنكحة فاسدة، ومنها أن يحذر الناس من مثل قوله أو اعتقاده أو فعله الكفري.

جاء في المجلة الزيتونية في الجزء الأول من المجلد الأول لعام 1936 م ص 40 فتوى في حكم لبس البرنيطة في دار الحرب و دار الإسلام للشيخ محمد الشاذلي ابن القاضي ما نصه: " فما يقضي به القاضي من الكفر هو ما يفتي به المفتي إذ **لا فرق بين ما به القضاء و ما به الفتوى**".
فهل من سبّ الله أو الرسول مثلا يشترط أن لا نكفره حتى يحكم القاضي؟! هذا شيء معلوم من الدين بالضرورة أن ساب الله كافر بالإجماع يكفّر بعينه فور وقوعه في هذا الكفر إن لم يكن

في الحالات المستثنية من التكفير كالإكراه بالقتل. وكل شرط ليس من الشرع يضرب به عرض الحائط.

قال الشيخ الدردير المالكي في شرحه على مختصر خليل ما نصه: "أي في الكفر وجوبا فلا يكتفي القاضي **بقول الشاهد أنه كفر** بل لا بد من بيان ما كفر به بيانا واضحا لا إجمال فيه". وكلامه يستفاد منه أنه يجوز للشخص إن سمع من شخص كفرا أن يقول "أنه كفر" ويشهد عند القاضي بما قال. ويستفاد منه أن الخليفة أو من يقوم مقامه هو الذي يستتيب ذلك الشخص الذي تكلم بالكفر إن ثبت عنه ذلك وليس عامة الناس.

فالخليفة هو الذي ينظر في كلام الشخص ليحكم عليه وينظر هل اللفظ الذي قاله لفظ صريح أم ظاهر (الظاهر ما كان بحسب وضع اللغة وجهان فأكثر ولكنه إلى المعنى الكفري أقرب, وأما الصريح فليس له بحسب وضع اللغة إلا وجه واحد كفري).

فإن تبين أنه تكلم بلفظ صريح فإنه لا يقبل منه تأويل، ولا يُسأل عن مراده ، إلا أن يكون لا يعرف ذلك المعنى الصريح بل يظن أن معناه غير ذلك، فإن هذا اللفظ بالنسبة إليه تصير عندها ليس لها حكم الصريح.

أما إن تبين أن اللفظ من قبيل الظاهر في الكفر فلا يحكم الخليفة (أو الذي يقوم مقامه) بكفره حتى يتبين مراده منه. فإن تبين القاضي أنه ما أراد المعنى الكفري يتركه و أما الشخص الذي حكم بكفره فلا يكفر أيضا لأن له في ذلك نوع شبهة والتباس. وأما إن تبين منه أنه أراد المعنى الكفري فيحكم بكفره.

هذا هو الفرق بين الخليفة ومن دونه, ولا يقال الخليفة فقط هو الذي يحكم إن كان الشخص كفر أو لا. فالذي يقول عن الله جسم ويفهم أن معنى جسم "ما له طول و عرض و تركيب" يكفر و لا ينفعه قوله بعد ذلك "لا كالأجسام". ولا ننتظر القاضي حتى يحكم عليه.

هذا وقد جاء في كتاب "قواعد مهمة" للشيخ نبيل الشريف أحد تلاميذ الشيخ عبد الله الهرري الحبشي ما نصه:" **فمن هنا يُعلم أنه لا ينبغي التسرع في إطلاق التكفير على شخصٍ نطق بكلامٍ ظاهرٍ قبل العلم بمراده، ولا التسرع في إطلاق التكفير على من نطق بالصريح وخاصة في هذا الزمان إلا بعد العلم بأنه يفهم معنى اللفظ ويعرف كونها صريحة**", أما هذا المدعو فريد الباجي فإنه يتهم السادة الأحباش" بالتكفير العشوائي لأهل القبلة" والحقيقة أنه هو الذي يتخبط في كلامه ولو نظر إلى كتب الشيخ عبد الله الهرري ككتاب الصراط المستقيم و بغية الطالب لرأى كيف فصل هذا العالم الجليل في هذا الباب استنادا لكلام الأئمة المجتهدين.

فعوض أن يحذر فريد الباجي الناس ويعلمهم ما ينبغي اجتنابه من الكلمات الكفرية إذا به يقول " أغلقت الباب على العامة" بزعمه. فحسبنا الله و نعم الوكيل.

ثم هناك مقال وجدناه على الصفحة المسماة "دار الحديث الزيتونية" تحت عنوان "إلى كل مسلم يعرف قدر نبيه صلى الله عليه وسلم، هذا حكم جلال الشيطان الذي سب نبيينا اليوم..."

وأورد كلام القاضي عياض في الشفا ونصه:" **اعلم وفقنا الله وإياك أن جميع من سب الأنبياء عموما أو تعرّض للنبي صلى الله عليه وسلم أو عابه أو ألحق به نقصا في نفسه أو نسبه أو دينه أو خصلة من خصاله أو عرض به أو شبّهه بشيء على طريق السب له أو الإزراء عليه أو التصغير لشأنه أو الغض منه والعيب له فهو ساب له والحكم فيه حكم الساب كافر يقتل ولا نمتري فيه تصريحا**".

ما معنى أن يقال هذا حكم جلال الشيطان ثم يستدل بكلام القاضي عياض و فيه تكفير لمن سب الرسول؟ أليس هذا تكفيرا عينيا لذلك المدعو جلال؟ أليس هذا دليل على تناقضات فريد الباجي في فتاويه و أقواله؟.

-كما يعتبر فريد الباجي أن الكافر الذي ورد فيه نص بالتخفيف على زعمه فإنه يخفف عنه العذاب في الآخرة.

الجواب على هذه الشبهة: هذا الكلام ضد الشرع. وما يروى من أن أبا لهب يخفف عنه العذاب، ليس حديثا نبويا شريفا ، وهذا الأثر ذكره البخاري عن عروة وهذا نصه :" قَالَ عُرْوَةُ : وثُوَيْبَةُ مَوْلاةٌ لأَبِي لَهَبٍ كَانَ أَبُو لَهَبٍ أَعْتَقَهَا فَأَرْضَعَتْ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم فَلَمَّا مَاتَ أَبُو لَهَبٍ أُرِيَهُ بَعْضُ أَهْلِهِ بِشَرِّ حِيبَةٍ قَالَ لَهُ مَاذَا لَقِيتَ قَالَ أَبُو لَهَبٍ لَمْ أَلْقَ بَعْدَكُمْ غَيْرَ أَنِّي سُقِيتُ فِي هَذِهِ بِعَتَاقَتِي ثُوَيْبَةَ ".اهـ من البخاري.

وكما هو واضح وجلي أن هذا ليس حديثا نبويا، وإنما هو خبر مرسل أرسله عروة ولم يذكر من حدثه به، وعلى تقدير أن يكون موصولا فالذي في الخبر رؤيا منام فلا حجة فيه، كما قال ابن حجر شارح البخاري. و العباس لم يعرض رؤياه على الرسول، **فلا يبنى على ذلك حكم شرعي**.

كما أن في القصة مخالفة صريحة للقرآن وفيها قولهم عن أبي لهب:" إنه يسقى في النار ماءا من بين أصبعيه كل يوم اثنين"، والله تعالى يقول: "**وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالمُهْلِ يَشْوِي الوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا**" ويقول " **وسقوا ماء حميما فقطع أمعاءهم**" .

ويقول "**لا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلا شَرابًا، إلا حميمًا وَغَسَّاقًا**"، ويقول "**وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ، يَتَجَرَّعُهُ وَلا يَكَادُ يُسِيغُهُ**".

كيف يقال أن أبا لهب يخفف عنه العذاب وهو الذي سب النبيَّ وءاذاه وهو الذي نزلت سورة قراءنية في ذمه؟ وهو قوله تعالى: **تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ** (1) **مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ** (2) **سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ** (3).

فبحسب كلام فريد الباجي يكون ما كسبه أبو لهب قد دفع عنه عذاب جهنم والعياذ بالله، وهذا تكذيب صريح لقول الله تعالى : "**وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُور**" سورة فاطر.

أما حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصحيح عن ابي طالب: "**هو في ضحضاح من نار**" فليس بالمعنى الذي يذهب اليه بعض الجهال، الذين قالوا بان الكافر يخفف عنه العذاب في النار وان الرسول يشفع لبعض الكفار والعياذ بالله، لا، حاشى ان يكذب رسول الله القرءان، بل معناه أن أبو طالب **قدر العذاب الذي يدخل فيه إلى أقل من قدر غيره من الكفار ولا يخفف عنه عذابه**.

ويكفينا في ردّ هذا التحريف والتحريف ءايات بيّنات من كتاب الله تعالى، كقوله تعالى: "**لا يخفَّفُ عنهُمُ العذابُ ولا هُمْ يُنْظرون**" ، وكقوله تعالى: "**يضاعفْ له العذابُ يومَ القيامةِ ويخلدْ فيه مهانًا**" و كقوله تعالى: "**إنَّ المجرمينَ في عذابِ جهنَّم خالدونَ، لا يُفَتَّرُ عنهمْ وهمْ فيهِ مُبْلِسُون**"

وعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ:قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ: ابْنُ جُدْعَانَ كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ يَصِلُ الرَّحِمَ وَيُطْعِمُ الْمِسْكِينَ فَهَلْ ذَاكَ نَافِعُهُ قَالَ: لَا يَنْفَعُهُ إِنَّهُ لَمْ يَقُلْ يَوْمًا رَبِّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ.

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مُؤْمِنًا حَسَنَةً يُعْطَى بِهَا فِي الدُّنْيَا وَيُجْزَى بِهَا فِي الْآخِرَةِ وَأَمَّا الْكَافِرُ فَيُطْعَمُ بِحَسَنَاتِ مَا عَمِلَ بِهَا لِلَّهِ فِي الدُّنْيَا حَتَّى إِذَا أَفْضَى إِلَى الْآخِرَةِ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَةٌ يُجْزَى بِهَا

وقد أورد الإمام النووي رحمه الله تعالى هذا الحديث تحت باب " جزاء المؤمن بحسناته في الدنيا والآخرة وتعجيل حسنات الكافر في الدنيا", وقال: **أجمع العلماء على أن الكافر الذي مات على كفره لا ثواب له في الآخرة ، ولا يجازى فيها بشيء من عمله في الدنيا** ، متقربا إلى الله تعالى ، وصرح في هذا الحديث بأن يطعم في الدنيا بما عمله من الحسنات ، أي : بما فعله متقربا به إلى الله تعالى مما لا يفتقر صحته إلى النية ، كصلة الرحم والصدقة والعتق والضيافة وتسهيل الخيرات ونحوها ، وأما المؤمن فيدخر له حسناته وثواب أعماله إلى الآخرة ، ويجزى بها

مع ذلك أيضا في الدنيا ، ولا مانع من جزائه بها في الدنيا والآخرة ، **وقد ورد الشرع به فيجب اعتقاده**. انتهى

وجاء في تفسير البحر المديد لابن عجيبة ما نصه: **وذكر عياض انعقاد الإجماع على أن الكفار لا تنفعهم أعمالهم ، ولا يثابون عليها. ولا تخفيف عذاب**. وقد ورد فى الصحيح سؤال عائشة عن ابن جدعان ، وأنه كان يصل الرحم ، ويطعم المساكين ، فهل ذلك نافعه ، فقال عليه السّلام : «لا ، فإنه لم يقل يوما : رب اغفر لى خطيئتى يوم الدين». ثم قال عياض : ولكن بعضهم يكون أشد عذابا ، بحسب جرائمهم.

وذكر أبو بكر البيهقي : أنه يجوز أن يراد بما ورد فى الآيات والأخبار من بطلان خيرات الكفار : أنهم لا يتخلصون بها من النار ، ولكن يخفف عنهم ما يستوجبونه بجناية سوى الكفر ، **ودافعه المازري**. انتهى

وممن رد هذه القصة الواهية الحافظ ابن حجر العسقلاني في شرح البخاري في المجلد التاسع كتاب النكاح باب الرضاع و في كتاب إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري للإمام شهاب الدين أبي العباس أحمد بن محمد الشافعي القسطلاني – الجزء 11 –كتاب النكاح يقول: "واستدل بهذا على أن الكافر قد ينفعه العمل الصالح في الآخرة وهو مردود بظاهر، قوله تعالى: "وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا" (سورة الفرقان / ءاية: 23)، لا سيما والخبر مرسل أرسله عروة ولم يذكر من حدّثه به وعلى تقدير أن يكون موصولا فلا يحتج به إذ هو رؤيا منام لا يثبت به حكم شرعي".

وبعد ءايات الله البينات الواضحات في بيان أن الكافر لا يخفف عنه العذاب بل يضاعف له العذاب وبعد كلام العسقلاني والقسطلاني الذي مرّ ءانفًا والإجماع الذي نقله القاضي عياض فلا يلتفت بعد كل هذا إلى هذه القصة المخالفة للقرءان مخالفة ظاهرة وواضحة ولا يهولنك يا طالب الحق أن تراها في أي كتابٍ كان. وإذا قيل لك هذه القصة صحيحة أو رواها فلان أو هي موجودة في بعض كتب الحديث فاثبت على الحق ولا تحد عنه واذكر ما قاله الحافظ الخطيب

البغدادي في كتابه الفقيه والمتفقه، ما نصه: "وإذا روى الثقة المأمون خبرًا متصل الاسناد رد بأمورٍ، أحدها: أن يخالف موجبات العقول فيعلم بطلانه لأن الشرع إنما يَرِدُ بمجوّزات العقول وأما بخلاف العقول فلا، والثاني: أن يخالف نص الكتاب أو السنة المتواترة فيعلم أنه لا أصل له أو منسوخ، والثالث أن يخالف الإجماع فيستدل على أنه منسوخ أو لا أصل له لأنه لا يجوز أن يكون صحيحًا غير منسوخ وتجمع الأمة على خلافه" إ.هـ.

وإذا قال قائل هذا الحديث إنما في فضائل الأعمال ومنها الاحتفال بذكرى مولد الرسول فنقول ما قاله الشيخ عبد الله الغماري في هذا الغمار: "ما يوجد في كتب المولد النبوي من أحاديث لا خطام لها ولا زمام هي من الغلو الذي نهى عنه الله ورسوله فتحرم قراءة تلك الكتب ولا يقبل الاعتذار عنها بأنها في الفضائل لأن الفضائل يتساهل فيها برواية الضعيف أما الحديث المكذوب فلا يقبل في الفضائل إجماعًا بل تحرم قراءته وروايته" إ.هـ.

هذا وقد اتفق الأصوليون على أنَّ النص لا يُؤول إلا لدليل سمعي ثابت أو دليل عقلي قاطع فقالوا: لا يجوز تأويل النص لغير ذلك وإن ذلك عبث والنصوص تُصان عن العبث، ذكر ذلك كثير من العلماء كصاحب المحصول.

فبعد هذا التفصيل يبطل ما قاله فريد الباجي من جواز تخفيف عذاب جهنم لبعض الكفار الذين يزعم أنه ورد في حقهم نص. وكلامه هذا مخالفة للقاعدة " **لا اجتهاد مع النص**"، فمتى أتى كتاب الله و كلام النبي صلى الله عليه وسلم، فليس لنا إلا السمع و الطاعة. فالاجتهاد لا يكون بتكذيب الشريعة. و ليس كل أحد يحق له الاجتهاد واستنباط القواعد.

ومن طامات فريد الباجي الكبرى قوله بحرية الاعتقاد ويعتبر ذلك أمرا جائزا في الشرع، ويرى أن قتال الكفار ليس لإدخالهم في الاسلام عنوة مستدلا بحكم الجزية وبقاء أهل الذمة على زعمه.

الجواب:ليعلم فريد الباجي أن الإسلام لا يقر بحرية العقيدة. الإسلام يأمر بالعقيدة الصالحة ويلزم بها ويفرضها على الناس، فإذا كانت حرية الاعتقاد حقا لماذا يعذب الله الكافرين يوم القيامة ولماذا حارب رسول الله صلى الله عليه وسلم الكافرين ومات من أجل ذلك الكثير من خيار أصحابه؟ و لماذا أرسل الله الأنبياء أصلا يا فريد الباجي ؟

الله سبحانه وتعالى يقول في القرآن الكريم:" **وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا** " سورة النساء.

ويقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " **أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ، وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الْإِسْلَامِ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ** ". حديث المتواتر

فالجهاد شرعه الله تعالى لإدخال الناس في الإسلام سواء بالقوة أو بغير القوة.

أما الآية الكريمة فى سورة الكافرون" **لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ** "معناها لكم دينكم الباطل الذي يجب عليكم أن تتركوه وتتبعوا دين الاسلام، وأما قول الله تعالى :" **فمن شاء فليؤمن و من شاء فليكفر إنا أعتدنا للظالمين نارا أحاط بهم سرادقها"** فليس معناه أنه ما عليكم حرج إن أنتم آمنتم أو إن أنتم كفرتم، هذه ليست رخصة، إنما معناه تهديد و توعّد لأنه أتبعه بقوله " **إنا اعتدنا للظالمين** " أي الكافرين "**نارا أحاط بهم سرادقها** " معناه : من آمن منكم فلنفسه أي ينفع نفسه، و من كفر فإنا اعتدنا للظالمين أي للكافرين نارا أي هيأنا لهم نارا أحاط بهم سرادقها معناه أنهم محفوفون في جهنم من جميع الجهات.

وأما قول الله تعالى"**لا إكراه في الدين**" فهذه الآية نزلت قبل ءايات الجهاد ونسخت بها وقال بعض العلماء هو خاص بأهل الكتاب الذين إذا امتنعوا من القتال ودفعوا الجزية لإمام المسلمين ترك قتالهم، وقد نزل في ءاخر ما نزل من القرءان قول الله تعالى:"**وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله"**، معنى "حتى لا تكون فتنة": أي حتى لا يمنع الكفار من أراد الدخول في

الإسلام من الدخول فيه اتباع الحق و معنى "ويكون الدين كله لله": أي حتى يدخل الناس في دين الإسلام، وهذه الآية صريحة لكل ذي بصيرة في أن المقصود من قتال الكفار إدخالهم في دين الله الإسلام.

وترك المسلمين لقتال بعض الكفار وأخذ الجزية منهم حكم خاص ببعض الكفار (يعني ليس كلهم) ويتوقف العمل به عند نزول سيدنا عيسى عليه السلام، لكن ليس معناه أن هؤلاء الكفار لهم أن يبقوا على كفرهم أو لهم الحق في الكفر. ولا ندري كيف استدل فريد الباجي بأخذ الجزية من أهل الذمة ليبرر قوله بحرية المعتقد وهؤلاء يدفعون المال لبيت مال المسلمين حتى لا يقتلوا. فهل هذا فيه دليل على حرية المعتقد؟ كذلك بعض أنواع الكفار كالبوذيين والهندوس والمرتدين مثلاً لا تقبل منهم الجزية. فقد ثبت أن رسول الله صلى الله عليه و سلم غزا سبع عشرة غزوة بعد أن أُذن له بالقتال. قال الله تعالى: "**تقاتلونهم أو يسلمون** " هذا في حق الكفار غير أهل الكتاب. وبعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم حارب الصحابة ما سوى عقيدة الإسلام فوصلوا في خمس وعشرين سنة إلى المغرب الأقصى وإلى أطراف الصين لإخراج الناس من الأديان الكفرية إلى هدي الإسلام، لا لأجل المال والغنائم ولا لأجل شهوة السلطة والحكم، بل تنفيذًا لقول الله تبارك وتعالى: "**تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ**" سورة الفتح الآية 16. فكيف بعد هذا يجرؤ فريد الباجي على القول بحرية المعتقد و العياذ بالله؟

الإسلام يأمر جميع المكلفين بالدخول فيه فوراً ومسألة أخذ الجزية من أهل الكتاب أمر أتى به الشرع. أهل الكتاب نزل فيهم قول الله تعالى في سورة التوبة " **قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون**".

فأهل الكتاب إذا امتنعوا من القتال ودفعوا الجزية لإمام المسلمين ترك قتالهم. قال شعبة ابن المغيرة لأهل الأَهْوَازِ: "**فَأَمَرَنَا نَبِيُّنَا رَسُولُ رَبِّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ نُقَاتِلَكُمْ حَتَّى تَعْبُدُوا اللَّهَ وَحْدَهُ ، أَوْ تُؤَدُّوا الْجِزْيَةَ**" رواه البخارى.

- ومن جملة مخالفات فريد الباجي اطلاقه القول بعدم كفر المعتزلة مع ضلالهم وبدعتهم.

نقول وبالله التوفيق ردا على هذه المخالفة الشنيعة: إن ترك فريد الباجي الحكم بالكفر على المعتزلة بالعموم المطلق مع معرفته وعلمه لما كانوا عليه من عقائد فاسدة كفرية سببه اعتماده على أقوال مردودة ومخالفة للنصوص من كتب المتأخرين, فعكف على الإنتصار بها، وكان نتيجة ذلك أن ترك نصوص وأقوال الأئمة المجتهدين الأوائل الذين يُرجع إليهم في مثل هذه الأحكام.

وليعلم أن المعتزلة انقسموا إلى عدة فرق منهم من وصلت به بدعته إلى الكفر ومنهم من لم تصل به إلى الكفر كانكارهم رؤية الله في الآخرة و أن الجنة و النار مخلوقتان الآن.

قال الفقيه المالكي العدوي على شرح كفاية الطالب الرباني (1/ 258) ما نصه: "وَحَاصِلُ ذَلِكَ أَنَّ مَنْ أَنْكَرَ وُجُودَهُمَا الْآنَ . الجنة و النار. فَإِنْ قَالَهُ عَنْ تَأْوِيلٍ كَالْمُعْتَزِلَةِ فَلَا يُكَفَّرُ". انتهى

أما المعتزلة الذين وصلت بهم بدعتهم إلى الكفر فهم يعتقدون جملة من العقائد شذوا فيها عن أهل السنة:

- منها قولهم بأن الله ما شاء حصول المعاصي والشرور وإنما يحصل الكفر والمعاصي بغير مشيئة الله.

- ومنها قولهم إن الإنسان يخلق أفعاله الاختيارية بقدرة أعطاه الله إياها وليس الله يخلقها:يقولون إن الله كان قادرًا على أن يخلق حركات العباد وسكناتهم قبل أن يعطيهم القدرة عليها فبعد أن أعطاهم القدرة عليها صار عاجزًا.

- ومنها قولهم بنفي صفات الله تعالى من علم وقدرة وحياة وبقاء وسمع وبصر وكلام فهم يقولون .الله عالم بذاته لا بعلم، قادر بذاته لا بقدرة، حي بذاته لا بحياة وهكذا في سائر الصفات

وهذه الأقوال الثلاثة **يجب** تكفيرهم بها ولا يجوز أن يقال " إنهم لا يكفرون بها وإن كانوا يفسقون بها ويبدّعون من غير أن يصلوا إلى حد الكفر " كما قال عدد من المتأخرين فإنهم خالفوا ما نص عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأجمع عليه الصحابة لا يُعرف بينهم مخالف،

وما خالفه مردود على قائله لأنه لا يجوز أن يُترك ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم وأجمع عليه أصحابه بلا خلاف لقولٍ مستحدث، بل مَنْ خالف في ذلك ينطبق عليه حديث مسلم مرفوعًا: "**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**"

فالمعتزلة القائلين بأنّ العبد يخلق أفعاله الاختيارية كذّبوا قول الله تعالى "**هل من خالقٍ غيرُ الله**"سورة فاطر الآية 3، وقول الله "**قلِ اللهُ خالق كل شيء**"سورة الرعد الآية 16 وأيات أخرى كثيرة وأحاديث عديدة. فنعوذ بالله منك يا فريد الباجي كيف تقول عن مثل هؤلاء مسلمين، ونعوذ بالله من أقوالك كم أهلكت بها من أناس اتبعوك فيها وكل ذلك في صحائفك تحاسب عليها يوم القيامة.

هؤلاء المعتزلة هم القدرية الذين سمّاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مجوس هذه الأمة، كما روى ذلك أبو داود عن ابن عمر مرفوعًا، وقد أورد هذا الحديث أبو حنيفة في إحدى رسائله الخمس وهو صحيح عنده لأنه أورده في معرِض الاحتجاج به.

وعلى تكفيرهم أيضا كان الإمام مالك، جاء في المدونة الكبرى، قال الإمام مالك ما نصه:"لا تُنْكِحُوا أَهلَ البِدَعِ وَلا يُنْكَحُ إِلَيْهِم وَلا يُسلّم عَلَيْهِم". و قال رضي الله عنه لما سُئِل عن نكاح المعتزلة: "**ولأمَةٌ مؤمنةٌ خيرٌ من مُشرِكةٍ**". معناه أنّهم كفّار مشركون، دخلهم الإشراك حيثُ إنّهم أثبتوا لله خلقَ الأجسام وأثبتوا للعباد خلق الأعمال الحركات والسكنات جعلوها من خلق العباد. وكذلك كفرهم إمام الهدى أبو منصور الماتريدي في كتابه التوحيد وعليه جرى أئمة الحنفية.

قال الزبيدي في شرح الإحياء: إن مشايخ ما وراء النهر **لم يتوقفوا عن تكفير المعتزلة** اهـ . وممن نصّ على ذلك منهم نجم الدين منكوبرس شارح الطحاوية.

فلا ينظر بعد هذا لما نقله ابن عابدين الفقيه الحنفي في حاشية رد المحتار (5/ 126) قال :"وأنت خبير بأن الصحيح في المعتزلة والرافضة وغيرهم من المبتدعة أنه لا يحكم بكفرهم".

ويؤول كلامه بأن مراده من لم تثبت عليه قضية معينة تقتضي كفرَه من مسائلهم، لأن منهم من ينتسب إليهم ولا يقول بجميع مقالاتهم كبشر المريسيّ.

وفي كتاب " أصول الدين " للإمام أبي اليسر البزدوي من أئمة الحنفية المتوفى سنة 493 للهجرة ما نصه: وسموا أنفسهم – أي المعتزلة – بأهل التوحيد لنفيهم الصفات وحسبوا أنه توحيد وضده شرك ، وليس كذلك بل نفي الصفات أصلاً إنكار للصانع على ما نبين.

وجاء في الكتاب المسمى بـ " السنة " للخلال الحنبلي ما نصه: أخبرنا أبو بكر المروذي قال: قال رجل لأبي عبدالله (أحمد بن حنبل) إن عندنا قوما يقولون إن الله خلق الخير ولم يخلق الشر ويقولون القرآن مخلوق. فقال: **هذا كفر** ، هؤلاء قدرية جهمية الخير والشر مقدر على العباد قيل له: الله خلق الخير والشر،قال: نعم الله قدره" اه

ومن نقل أيضًا تكفير المعتزلة الإمام أبو سعيد المتولي الشافعي في كتابه "الغنية" وهو من أصحاب الوجوه في المذهب الشافعي وهي الطبقة التي تلي الإمام الشافعي، قال ما نصه: وأنكرت المعتزلة ذلك وقالوا ليس لله عز وجل في الأزل اسم ولا صفة وهذا القول يقضي إلى القول بأن الله تعالى لم يكن له في الأزل صفة الإلهية **وهو كفر وضلال**.

ولم يصح عن إمام مجتهد كالشافعي وغيره القول بترك تكفير هذا الصنف من المعتزلة. فقد نقل الأستاذ أبو منصور التميمي في كتابه التذكرة البغدادية وكتابه تفسير الأسماء والصفات تكفيرهم عن الأئمة فقال في أصول الدين ما نصه: «**أصحابنا أجمعوا على تكفير المعتزلة**» وقوله: «أصحابنا» يعني به الأشاعرة والشافعية لأنه رأس كبير في الأشاعرة الشافعية، وهو إمامٌ مقدّم في النقل معروف بذلك بين الفقهاء والأصوليين والمؤرخين الذين ألّفوا في الفِرق.

وما يذكر من العبارات التي تفهم ترك تكفيرهم عن بعض المشاهير كالنووي فهو محمول على أن مراده من لم تثبت عليه قضية معينة تقتضي كفرَه من مسائلهم.ودليلنا في هذا ما نقله النووي في الروضة عن الحنفية من تكفير لمن قال "أنا أفعل بغير مشيئة الله" وأقرهم على ذلك.

وقد أنكر الحافظ البلقيني في حواشي الروضة قول صاحب الروضة بصحة القدوة بهم في الصلاة. قال في حواشي الروضة للبلقيني ما نصه «وقول الشافعي رضي الله عنه: «أقبل شهادة أهل الأهواء إلا الخطابية» محمول على من لم تثبت فيهم قضية معينة تقتضي تكفيرهم، واستدلَّ لذلك بقوله لحفص الفرد لما جادله في مسئلة القول بخلق القرأن فأفحمه الشافعي: «لقد كفرت بالله العظيم». وردّ البلقيني تأويل قول الشافعي هذا بكفران النعمة فقال في حاشيته على روضة الطالبين ما نصه: «قوله ـ يعني النووي ـ: وأطلق القفال وكثيرون من الأصحاب القول بجواز الاقتداء بأهل البدع، وأنهم لا يكفرون، قال صاحب العُدة: هو ظاهر مذهب الشافعي رضي الله عنه، زاد ـ أي النووي ـ هذا الذي قاله القفّال وصاحب العدة هو الصحيح أو الصواب، فقد قال الشافعي: أقبل شهادة أهل الأهواء إلا الخطابية لأنهم يرون الشهادة بالزور لموافقيهم، ولم يزل السلف والخلف على الصلاة خلف المعتزلة وغيرهم». قال البلقيني: «فائدة: الصحيح أو الصواب خلاف ما قال المصنف ـ يعني النووي ـ وقول الإمام الشافعي رضي الله عنه محمول على من ذكر عنه أنه من أهل الأهواء ولم يثبت عليه قضية معينة تقتضي كفره، وهذا نص عام، وقد نص نصًّا خاصًّا على تكفير من قال بخلق القرأن، والقول بالخاص هو المقدّم، وأمّا الصلاة خلف المعتزلة فهو محمول على ما قدمته من أنه لم يثبت عند المقتدين بهم ما يكفرهم». ثم قال البلقيني: «قوله ـ يعني النووي ـ وقد تأوّل البيهقي وغيره من أصحابنا المحققين ما جاء عن الشافعي وغيره من العلماء من تكفير القائل بخلق القرأن على كفران النعم لا كفران الخروج عن الملّة». قال البلقيني: «فائدة: هذا التأويل لا يصح لأن الذي أفتى الشافعي رضي الله عنه بكفره بذلك هو حفص الفرد، وقد قال: **أراد الشافعي ضرب عنقي**، وهذا هو الذي فهمه أصحابه الكبار وهو الحقّ وبه الفتوى خلاف ما قال المصنّف».اهـ.

قال الزركشي في تشنيف المسامع ما نصه: «وقد نص الشافعي على قبول شهادة أهل الأهواء، وهو محمول على ما إذا لم يؤد إلى التكفير، وإلا فلا عبرة به».اهـ.

وهذا يؤكد ما قاله البلقيني في حواشي روضة الطالبين بأن مراد الشافعي بقوله أقبل شهادة أهل الأهواء إلا الخطابية، من لم تثبت بحقه قضية تقتضي تكفيره منهم، يعني كقولهم إن العبد يخلق أفعال نفسه الاختيارية استقلالاً، وإن الله كان قادرًا على خلقها قبل أن يعطيهم القدرة فلما أعطاهم صار عاجزًا.

قال أبو حامد المروزي أحد أصحاب الوجوه من الشافعية: " إن الشافعي نص في مواضع من كتبه **بتكفير القائل بخلق القرأن**". انتهى

قال الإمام البيهقي الشافعي في كتابه السنن الكبرى تحت باب ما ترد به شهادة أهل الأهواء ما نصه: "قال بعض أصحابنا هو إظهار من أظهر منهم نفي صفات الله تعالى التي قد ورد الكتاب بها ودلت السنة المستفيضة مع إجماع سلف هذه الأمة على أثباتها نحو الكلام والقدرة والعلم والمشيئة وإن الأفعال كلها لله تعالى مخلوقة فقد **جاءت الأخبار بتكفير منكريها** وتبرأ سلف هذه الأمة من مذهب أهل الأهواء فيها".

أما فريد الباجي فقد تجاهل كلام البلقيني و غيره من أصحاب الوجوه و أخذ بكلام بعض أصحاب الترجيح من الذين خالفوا المذهب. فحسبنا الله و نعم الوكيل.

أما من المالكية فقد كفرهم الفقيه اللغوي أبو الحسن شيث بن إبراهيم وألف في الرد عليهم كتاب "حز الغلاصم وإفحام المخاصم "وكذلك الإمام ابن التّلمساني في كتابه شرح لمع الأدلة لإمام الحرمين.

وجاء في السنن الكبرى للبيهقي ما نصه : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ وأبو بكر احمد بن الحسن القاضى قالا ثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ثنا أبو أمية الطرسوسى ثنا يحيى بن خلف المقرى :قال كنت عند مالك بن أنس فجاءه رجل فقال : ما تقول فيمن يقول القرآن مخلوق ؟

قال: **عندي كافر فاقتلوه**. وهو تكفير بالتعيين من الإمام مالك.

وقال القاضي المالكي أبو بكر ابن العربي الأشعري في كتابه " أحكام القرأن " الجزء الأول صحيفة 713 ما نصه: "وَذَلِكَ كَالْقَوْلِ **فِي التَّشْبِيهِ وَالتَّجْسِيمِ وَالْجِهَةِ**، أَوْ الْخَوْضِ فِي إنْكَارِ الْعِلْمِ وَالْقُدْرَةِ، وَالْإِرَادَةِ وَالْكَلَامِ وَالْحَيَاةِ، **فَهَذِهِ الْأُصُولُ يَكْفُرُ جَاحِدُهَا بِلَا إشْكَالٍ**. **وَكَقَوْلِ الْمُعْتَزِلَةِ: إنَّ الْعِبَادَ يَخْلُقُونَ أَفْعَالَهُمْ، وَإِنَّهُمْ يَفْعَلُونَ مَا لَا يُرِيدُهُ اللَّهُ**، وَإِنَّ نُفُوذَ الْقَضَاءِ وَالْقَدْرِ عَلَى الْخَلْقِ بِالنَّارِ جَوْرٌ. **وَكَقَوْلِ الْمُشَبِّهَةِ: إنَّ الْبَارِيَ جِسْمٌ، وَإِنَّهُ يَخْتَصُّ بِجِهَةٍ**، وَإِنَّهُ قَادِرٌ عَلَى الْمُحَالِ ". انتهى

وقال السنوسي في شرحه على كتابه " أم البراهين" ما نصه: "وبهذا تعرف بطلان مذهب الجبرية القائلين باستواء الأفعال كلها وأنه لا قدرة تقارن شيئاً منها عموماً ولا شك أنهم في هذه المقالة مبتدعة بله يكذبهم الشرع والعقل ، وبطلان مذهب القدرية مجوس هذه الأمة بتأثير القدرة الحادثة في الأفعال على حسب إرادة العبد **ولا شك أنهم مبتدعة أشركوا مع الله تعالى غيره**".

وقال الإمام الفقيه محمد بن رشد الجد المالكي في كتابه " البيان والتحصيل ما نصه:

تأويل مالك لهذه الآية في أهل القبلة – أي بعض من ينتسبون إلى أهل القبلة – يدل على أنه **رآهم كفاراً** بما يؤول إليه قولهم وذلك في مثل القدرية الذين يقولون أنهم خالقون لأفعالهم قادرون عليها بمشيئتهم وإرادتهم دون مشيئة الله لم يرد الكفر والعصيان من عباده ولا شاءه ولا قدره ففعلوه هم بمشيئتهم وقدرتهم وإرادتهم ، وفي مثل المعتزلة الذين ينكرون صفات ذات البارىء عز وجل من علمه وكلامه وإرادته وحياته إلى ما سوى ذلك من الأشياء التي تسد عليهم طريق المعرفة بالله تعالى وأشباههم من الروافض والمرجئة.

ثم قال في موضع آخر في الآية " **يوم تبيض وجوه وتسود وجوه** " ما نصه: وأي كلام أبين من هذا ، قال ابن القاسم : ورأيته يتأولها على الأهواء ، فالقدرية عند **عامة العلماء كفارٌ** لأنهم نسبوا إلى الله العجز والجهل في قولهم إن الله لم يقدّر المعاصي ولا الشر وإن ذلك جارٍ في خلقه وسلطانه بغير قدرته ولا إرادته فنفوا القدرة والإرادة في ذلك عن الله تعالى ونسبوها لأنفسهم حتى قال بعض طواغيتهم أنه لو كان طفل على حاجز بين الجنة والنار لكان الله تعالى موصوفاً على

طرحه في الجنة وابليس موصوفاً بالقدرة على طرحه في النار وأن الله لا يوصف بالقدرة على ذلك وزعموا أن خلاف هذا كفر وشرك.

ثم قال أيضا: **وقد تواترت الآثار بإخراجهم عن الإسلام وإضافتهم إلى أصناف الكفار** من ذلك قوله عليه الصلاة والسلام " القدرية مجوس هذه الأمة " و " القدرية نصارى هذه الأمة " و قوله " صنفان من أمتي ليس لهما نصيب في الإسلام المرجئة والقدرية " ، وقوله " لكل أمة مجوس ومجوس هذه الأمة القدرية لا تعودوهم إذا مرضوا ولا تصلوا عليهم إذا ماتوا. انتهى

وفي تفسير القرطبي نقلاً عن الولي الصالح العارف بالله سيدي سهل بن عبد الله التستري المتوفى سنة 283 بعد الهجرة ما نصه: وسئل سهل بن عبد الله (يعني التستري) عن الصلاة خلف المعتزلة والنكاح منهم وتزويجهم فقال : لا ولا كرامة ، **هم كفار** ، كيف يؤمن من يقول : القرآن مخلوق.

وفي كتاب " مقدمات المراشد إلى علم العقائد في دفع شبه الملحدين والمبطلين " لابن خمير السبتي (ت 614 هـ) ما نصه: ثم العجب منهم كيف توقفوا في تكفير القدرية مجوس الأمة ، خصماء الله على خلقه مع هذه الإلزامات قال تعالى " **يا أيها الناس ضُرِب مثل فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له** " ، فإن قالوا : إنما يحتج بهذه الآية على من يدعي خلق الأجسام، فإن الذباب جسم ونحن لا ندعي خلق الأجسام، قلنا : نسبة المقدور إلى القدرة في الأفعال و الأبدان على سواء فمن ادعى خلق الأعراض ألزم خلق الجواهر. انتهى

فأين مالكية اليوم من مالكية الأمس و أين الثرى من الثريا؟

بيان مسألة حول كلام ابن دقيق العيد

يحتج فريد الباجي على عدم كفر المعتزلة بزعمه بقول الشيخ تقي الدين ابن دقيق العيد في كتابه "إحكام الأحكام" ونصه:

وقد اختلف الناس في التكفير وسببه حتى صنف فيه مفردا والذي يرجع إليه النظر في هذا: أن مآل المذهب: هل هو مذهب أو لا؟ فمن أكفر المبتدعة قال: إن مآل المذهب مذهب فيقول: المجسمة كفار لأنه عبدوا جسما وهو غير الله تعالى فهم عابدون لغير الله ومن عبد غير الله كفر ويقول: المعتزلة كفار لأنهم وإن اعترفوا بأحكام الصفات فقد أنكروا الصفات ويلزم من إنكار الصفات إنكار أحكامها ومن أنكر أحكامها فهو كافر وكذلك المعتزلة تنسب الكفر إلى غيرها بطريق المآل..

ثم قال بعد ذلك مباشرة: "**والحق: أنه لا يُكفر أحد من أهل القبلة إلا بإنكار متواتر من الشريعة عن صاحبها فإنه حينئذ يكون مكذبا للشرع**". انتهى

هذا الكلام أورده فريد الباجي لايهام الناس أن الشيخ ابن دقيق العيد ينفي قاعدة مآل المذهب مذهب وبالتالي عدم تكفير المعتزلة و المجسمة، والحقيقة أن كلام الشيخ ابن دقيق العيد هذا استدراك منه على ما صرح به في الأول في حكم من يكفر أحدا من المسلمين. قال قبل أن يتطرق لمسألة لازم المذهب ما نصه:"**وهذا وعيد عظيم لمن أكفر أحدا من المسلمين وليس كذلك هي ورطة عظيمة وقع فيها خلق كثير من المتكلمين ومن المنسوبين إلى السنة وأهل الحديث لما اختلفوا في العقائد فغلظوا على مخالفيهم وحكموا بكفرهم وخرق حجاب الهيبة في ذلك جماعة من الحشوية وهذا الوعيد لاحق بهم إذا لم يكن خصومهم كذلك**".

فلا مناسبة في كلام ابن دقيق العيد بين مآل المذهب مذهب وبين وقوله " والحق: أنه لا يُكفر أحد من أهل القبلة", ألا ترى أنه أراد أن يفسر قوله " **وهذا وعيد عظيم لمن أكفر أحدا من**

المسلمين وليس كذلك" بقوله " **والحق: أنه لا يُكفر أحد من أهل القبلة إلا بإنكار متواتر من الشريعة عن صاحبها فإنه حينئذ يكون مكذبا للشرع**" ليجعل ظابطا في التكفير؟

أما قول ابن دقيق العيد بعد ذلك: "وليس مخالفة القواطع مأخذا للتكفير، وإنما مأخذه مخالفة القواعد السمعية القطعية طريقا ودلالة" فمعناه ليس مجرد ذلك كفرا لأنه قد تكون مخالفة النص في بعض الأحوال ليس كفرا كالمعتزلة الذين أنكروا رؤية الله في الآخرة فهؤلاء تأولوا النص فلا يكفرون على تأويلهم هذا لكنهم فسقوا.

انظر إلى هذا المقتطف المرفق من كتاب إحكام الأحكام

قبل

انتفت هذه الثمرة نفيت البنوة مبالغة. وأما من وصف غيره بالكفر: فقد رتب عليه الرسول ﷺ قوله « حار عليه » بالحاء المهملة: أي رجع. قال الله تعالى ﴿ ٨٤: ١٤ إنه ظن أن لن يَحُورَ ﴾ أي يرجع حياً، وهذا وعيد عظيم لمن أكفر أحداً من المسلمين، وليس كذلك وهي ورطة عظيمة وقع فيها خلق كثير من المتكلمين، ومن المنسوبين إلى السنة وأهل الحديث، لما اختلفوا في العقائد. فغلظوا على مخالفيهم، وحكموا بكفرهم، وخرقَ حجابَ الهيبة في ذلك جماعة من الحشوية، وهذا الوعيد لاحقٌ بهم إذا لم يكن خصومهم كذلك.

وقد اختلف الناس في التكفير وسببه، حتى صُنف فيه مفرداً. والذي يرجع إليه النظر في هذا: أن مآل المذهب: هل هو مذهب أو لا؟ فمن أكفر المبتدعة قال: إن مآل المذهب مذهب. فيقول: المجسمة كفار. لأنهم عبدوا جسماً، وهو غير الله تعالى. فهم عابدون لغير الله، ومن عبد غير الله كفر. ويقول: المعتزلة كفار. لأنهم ـ وإن اعترفوا بأحكام الصفات ـ فقد أنكروا الصفات. ويلزم من إنكار الصفات إنكار أحكامها، ومن أنكر أحكامها فهو كافر. وكذلك المعتزلة تنسب الكفر إلى غيرها بطريق المآل.

والحق: أنه لا يكفر أحد من أهل القبلة، إلا بإنكار متواتر من الشريعة عن صاحبها. فإنه حينئذ يكون مكذباً للشرع، وليس مخالفة القواطع مأخذاً للتكفير وإنما مأخذه مخالفة القواعد السمعية القطعية طريقاً ودلالة.

وعبر بعض أصحاب الأصول عن هذا بما معناه: إن من أنكر طريق إثبات الشرع لم يكفر، كمن أنكر الإجماع، ومن أنكر الشرع بعد الاعتراف بطريقة كفر. لأنه مكذب. وقد نقل عن بعض المتكلمين[1] أنه قال: لا أكفر إلا من كفرني، وربما خفي سبب هذا القول على بعض الناس، وحمله على غير محمله الصحيح. والذي ينبغي أن يحمل عليه: أنه قد لمح هذا الحديث الذي يقتضي أن من دعا رجلاً بالكفر ـ وليس كذلك ـ رجع عليه الكفر، وكذلك قال عليه السلام « من قال لأخيه: كافر: فقد باء بها أحدهما » وكأن هذا المتكلم يقول: الحديث

زيادة فائدة في قاعدة لازم المذهب مذهب في ما يتعلق بالمعتزلة

قال القرطبي في كتاب " الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى" ما نصه:
محال أن تقوم الصفة بنفسها، فاستحالة عالم لا بعلم كاستحالة علم بلا عالم، واستحالة قادر لا بقدرة كاستحالة قدرة بلا قادر، واستحالة حي لا بحياة كاستحالة حياة بلا حي، واستحالة مريد لا بإرادة كاستحالة إرادة لا بمريد، واستحالة سميع بلا سمع كاستحالة سمع بلا سميع، واستحالة متكلم لا بكلام كاستحالة كلام لا بمتكلم ، **وهذا بيّنٌ لا خفاء به**. انتهى

فكلام القرطبي رد على بعض الناس الذين قالوا " أنه لا يجوز تكفير المعتزلة لمجرد نفيهم لصفات المعاني (كالعلم والقدرة والإرادة والكلام ونحوها) عن الله تعالى. "
فإن قيل لهؤلاء : قول المعتزلة هذا يلزم منه نفي الصفات المعنوية (أي نفي أن يكون الله عالماً قادراً مريداً متكلماً ونحوها) وأنتم تقرون بكفر نافي الصفات المعنوية عن الله تعالى.
يقولون : هذا الأخير هو لازم قول المعتزلة وليس عين قولهم، ثم يتبعون كلامهم هذا بقولهم: "لازم المذهب ليس بمذهب " يريدون بذلك أن المعتزلي يقر على زعمه بلسانه أن الله عالم ولكنه ينفي صفة العلم عن الله، وهكذا في بقية الصفات...
فيقال لهم : هذا اللازم هو من النوع البين، والعلماء يقولون إذا كان اللازم بيناً فهو قول للقائل.
وقول القرطبي " **وهذا بينٌ لا خفاء به** " دليل على أن نفي صفات المعاني (كالعلم والقدرة والإرادة والكلام ونحوها) عن الله يلزم منه لزوماً بيناً نفي الصفات المعنوية أي نفي كونه سبحانه وتعالى متكلماً قادراً ومريداً وعالماً ،ولكن الذين يمتنعون من تكفير المعتزلة لمجرد نفيهم لصفات المعاني عن الله تعالى هم أنفسهم يكفّرون بلا تردد من يقول عن الله ليس عالماً ولا متكلماً ولا قادراً ولا مريداً فيلزمهم أن يقولوا بكفر نافي صفات المعاني أيضاً.

بيان مسألة عن الإمام الأشعري فيما يخص أهل القبلة.

جاء في كتاب "السنن الكبرى للبيهقي مانصه:

(أخبرنا) أبو عبد الله الحافظ وأبو عبد الرحمن السلمي قالا سمعنا أبا محمد جعفر بن محمد بن الحارث يقول سمعت أبا زكريا يحيى بن زكريا يقول سمعت المزني يقول القرآن كلام الله غير مخلوق (أخبرنا) أبو عبد الله الحافظ ثنا أبو محمد المزني قال سمعت يوسف بن موسى المروروذي سنة خمس وتسعين ومائتين يقول كنا عند أبي إبراهيم المزني بمصر جماعة من أهل الخراسان وكنا نجتمع عنده بالليل فنلقى المسألة فيما بيننا ويقوم للصلاة فإذا سلم التفت إلينا فيقول أرأيتم لو قيل لكم كذا وكذا بماذا تجيبونهم ويعود إلى صلاته فقمنا ليلة من الليالي فتقدمت انا وأصحاب لنا إليه فقلنا نحن قوم من أهل خراسان وقد نشأ عندنا قوم يقولون القرآن مخلوق ولسنا ممن يخوض في الكلام ولا نستفتيك في هذه المسألة الا لديننا ولمن عندنا لنخبرهم عنك بما تجيبنا فيه فقال القرآن كلام الله غير مخلوق ومن قال إن القرآن مخلوق فهو كافر (قال الشيخ رحمه الله) فهذا مذهب أئمتنا رحمهم الله في هؤلاء المبتدعة الذين حرموا التوفيق وتركوا ظاهر الكتاب والسنة بآرائهم المزخرفة وتأويلا تهم المستنكرة وقد سمعت أبا حازم عمر بن أحمد العبدوي الحافظ يقول سمعت زاهر بن أحمد السرخسي يقول لما قرب حضور أجل أبي الحسن الأشعري رحمه الله في داري ببغداد دعاني فقال اشهد على أني لا أكفر أحدا من أهل هذه القبلة لان الكل يشيرون إلى معبود واحد وإنما هذا اختلاف العبارات. انتهى

فيتبين من نص البيهقي أن الإمام أبا الحسن الأشعري خص قوله " لا أكفر أحدا من أهل هذه القبلة لان الكل يشيرون إلى معبود واحد وإنما هذا اختلاف العبارات" بمسألة خلق القرآن وكلامه محمول على مثلِ بِشرٍ المريسيّ والمأمونِ العباسيّ، فإن بشرًا كان موافقَهُم في القولِ بخلقِ القرءانِ وكفَّرَهم في القولِ بخلقِ الأفعالِ. فقول الإمام الأشعري " لا أكفر أحدا من أهل هذه القبلة " معناه من لم يثبت عنه القول بخلق العبد لفعله كما تقول المعتزلة إنما قال بخلق القرءان، وقوله "

هذا اختلاف العبارات" إشارة منه أن هؤلاء الذين قالوا بخلق القرآن لا يعنون بكلامهم أنه ليس لله كلام إلا اللفظ المنزل الذي هو مخلوق. فيطلقون القول بخلق القرآن و مرادهم اللفظ المنزل. وهو حرام اطلاقه لأنه سوء أدب مع السلف و ليس كفرا. أما من يقول القرآن مخلوق و مراده بالقرآن كلام الله الأزلي فلا شك أن الإمام الأشعري يكفره. أليس الأشعري نفسه ثبت عنه أنه صعد منبر البصرة يوم الجمعة ونادى بأعلى صوته: من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني، أنا فلان بن فلان كنت أقول بخلق القرآن، وإن الله لا يرى بالدار الآخرة بالأبصار وإن العباد يخلقون أفعالهم؟

كذلك قول الإمام أحمد في المعتصم «يا أميرَ المؤمنين» فإن المعتصم والمأمون لم يثبت عنهما القول بخلق العبد لفعله كما تقول المعتزلة إنما وافقا المعتزلة في القول بخلق القرءان، ولا يعني المعتصم والمأمون أنه ليس لله كلام إلا هذا اللفظ المنزل الذي هو مخلوق لله كما تعتقد المعتزلة، إنما وافقاهم في القول بمخلوقية اللفظ ففرق بينهما وبين المعتزلة لأن المعتزلة نفوا الكلام القائم بذات الله وقالوا ليس لله كلام إلا الكلام الذي يخلقه في غيره كالشجرة التي كان عندها موسى، فحكم المعتزلة الذين نفوا الكلام القائم بذات الله غير حكم من قال بمخلوقية اللفظ المنزل، ولا يستطيع أحد أن يثبت عن الخليفتين أنهما تلفظا بنفي الكلام الذاتي عن الله.

فالذين لا يعتقدون من الاعتزال أصوله الكفرية إنما ينتسبون إليهم ويعتقدون بعض المسائل الأخرى كعدم رؤية المؤمنين لربهم في الآخرة فهؤلاء الذين لم يكفّرهم من تحاشى تكفيرهم.

وهذا أيضا معنى كلام العز بن عبد السلام في قواعده : قد رجع الأشعري ــرضي الله عنهــ عند موته عن تكفير أهل القبلة لأن الجهل بالصفات ليس جهلاً بالموصوفات. انتهى

انتهى القسم الأول من الكتاب بتوفيق الله و عونه.

2/ الفصل الثاني: المختصر المعين على نقض ادعاء من قال بأولية النور المبين

مقدمة الفصل الثاني

ليعلم أن سيّدنا محمد صلى الله عليه وسلم كان مشهوراً بوصف الرسالةِ عندَ الملائكة قبلَ أن يتمّ تكوينُ هيكل آدم، ولم يكن صلى الله عليه و سلم مخلوقًا قبلَه. رُوح سيدنا محمد صلّى الله عليه وسلّم يَجوز أن يكونَ خُلق قبلَ روح آدم، أمّا هيكلُه المؤلّف مِن جسده ورُوحِه هذا بَعدَ آدم بل بعدَ كلّ الأنبياء بعدَ ارتفاع المسيح إلى السّماء بما يَقرُب مِن سِتّمائة سنة .
آدم ما خُلِق دَفعة واحدة مركّبًا مِن رُوحٍ وجسَد في لحظةٍ واحِدة. الله أمَرَ ملَكًا مِن ملائكته بأنْ يَقبِضَ تُربةً مِن جميع أجزاءِ الأرض مِن أسودِها وأبيضِها وسَهلِها وحَزْنها مِن جميع أنواع التّراب، فهذا الملَك قبَض قَبضَةً ثم رفَعَها إلى الجنّة فعُجِنَت هناك، هذه القَبضة عُجِنَت بماءِ الجنّة فظَلّ آدمُ طِينًا بُرهةً من الزمن لا يقلُّ عن أربعينَ يومًا ظَلّ طينًا ثم صارَ هذا الطّينُ يابسًا كالفَخّار ثم بَعدَ ذلكَ بمدّةٍ يَعلَمُها الله تَحوّل إلى لحم وعَظمٍ ودَم ثم بعدَ ذلك أدخَل الله فيه الرّوحَ التي هو خلَقَها وشَرّفَها وكرّمَها .

ثم بعد أن نزل سيدنا آدم إلى الأرض الله أخرج من صلبه أرواح بني ءادم ونثرها في مكان يعرف "بنعمان الأراك" وأخذ عليهم الميثاق، فقال تعالى" **ألست بربكم قالوا بلى**" سورة الأعراف. ولم يكن ذلك قبل نفخ الروح في آدم بل بعده.
فلما تلبست الأرواح بالأجساد نسيت ما كان حصل ذلك اليوم، ولكن العلماء قالوا: إنّ الإنسان يولد على فطرة الإسلام استنادا لقول النبي صلى الله عليه وسلم: "**ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه**". متفق عليه
فهذا الميثاق . أي العهد . هو اعترافهم بعد أن استخرجهم من ظهر ءادم بعدما نزل إلى الأرض فصورهم وخلق فيهم المعرفة والإدراك بأنه لا إله لهم إلا الله، فجميع ذرية ءادم اعترفوا ذلك اليوم.

و أخذالله تعالى أيضا الميثاق من الأنبياء. الله تعالى أوحَى إلى كلّ نبيّ بأنه يأتي نبي اسمه محمّد فمَن أدركَ محمّدًا فلْيؤمِن به ولْيَنصُره، أخَذَ العَهد والميثاقَ على كلّ نبيّ، كلُّ نبيّ كانَ يَعرفُ محمّدًا، وهَذا مِن علُوّ مَقام سيّدنا محمّد عندَ الله، قال تعالى: **وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّيْنَ لَمَا آتَيْتُكُم مِن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُواْ أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُواْ وَأَنَاْ مَعَكُم مِنَ الشَّاهِدِينَ**.

اللهُ تعالى يَعلَم أنّ محمّدًا لا يأتي إلا بعدَ آلافٍ مِن الأنبياء يَسبقُونَه لكن تَنويهًا لشَرف محمّد أوحَى إلى كلّ نَبيّ بأنّهُ سَيأتي محمّدٌ فمَن أدركَه فلْيؤمِن به ولْيَنصُرْه، فما مِن نَبيّ إلا وقَد علِم بالوَحْي مِن الله أنّ نبيًّا اسمُه محمّد سيأتي وكذلك كلّ نبيّ أَخبَرَ أُمّتَه.

وومن الأنبياء الذين بَشَّروا بالرسول محمد صلى الله عليه و سلم, نبيُ اللهِ إبراهيمُ كما أخبرَنَا اللهُ تَعَالى فِي القرءانِ الكريمِ عن ابراهيمَ أنَّهُ قالَ: **ربَّنَا وابعَثْ فيهم رَسُولاً منهم يَتلُو عليهم ءاياتِكَ وَيُعلِمُهُمُ الكتابَ والحكمةَ ويزكِيهم إنك أنتَ العزيزُ الحكيمُ** . وفِي هذا روى الإمامُ أحمدُ عن أبي أمامةَ قُلتُ يا رسولَ اللهِ ما كانَ بدءُ أمرِكَ قَالَ رَسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم دعوةُ أبي إبراهيم.

فما ورد فِي الحديث في حقّ سيّدنا محمد صلّى الله عليه وسلّم بأنّه قال: **كُتِبتُ نبيًّا وآدَمُ بينَ الرّوحِ والجَسد**، رواه الطبراني، معناه قبلَ أن يركَّب فِي آدم الرّوح كان سيّدنا محمّد نبيًّا أي كانَ مشتَهرًا بينَ الملائكة بوصف النبوّة والرسالة، كانوا يعرفونَ أنّه سيأتي نبيّ اسمُه محمّد باعتِبار هذا الوصف كانَ الرسولُ نبيًّا بينَ الرّوح والجَسد لا بمعنى أنّ سيدّنا محمدًا كانَ مخلوقًا فِي ذلكَ الوقت، لم يكن الرسولُ مخلوقًا لما كانَ آدمُ طينًا لم يُركّب فيه الرّوح.

الرد على فريد الباجي في ادعاءه أن النور المحمدي هو أول المخلوقات خلقا
(نقض ثمانية عشر شبهة)

الشبهة الأولى: الحديث الأول الذي يستدل به فريد الباجي على اثبات أن الرسول أول المخلوقات بزعمه، حديث جاء في قصة الإسراء و المعراج و الذي فيه أن الرسول رأى خلقا فقال له أحدهم : "السلام عليك يا أول والسلام عليك يا آخر". قال فريد الباجي:"اسناده صحيح رواه ابن جرير في تهذيب الآثار"

الجواب: "هذا الحديث ليس فيه الدليل أنّ الرسول عليه الصلاة و السلام هو أوّل خلقِ الله. هذا الحديث قد يأتي على معنى أنه صلى الله عليه وسلم أول من يدخل الجنة وقد يأتي على معنى أنه أول من يبعث وقد يأتي على معنى أنه أول من أسري به وقد يأتي أيضا على معنى أنه أول من يشفع وقد يأتي أيضا على معنى أنه صلى الله عليه وسلم كان مشهورًا بوصف الرسالة بين الملائكة قبل خلق آدم. فهذا الحديث يحتمل معاني عديدة كلها واردة ،فكيف جزم فريد الباجي أن معنى " السلام عليك يا أول" في هذا الحديث هو بمعنى أول المخلوقات؟ وماذا سيقول في قوله "السلام عليك يا آخر" ؟هل سيقول معناه آخر المخلوقات؟ أم سيأول و يقول: قولهم "السلام عليك يا أول" معناه أول المخلوقات و قولهم "السلام عليك يا آخر"معناه آخر الأنبياء؟ والقاعدة عند أهل العلم أن الدليل إذا تطرق إليه الإحتمال بطل الإستدلال به، نص على هذه القاعدة كثير من العلماء كالحافظ ابن حجر العسقلاني، قال في فتح الباري الجزء 8 صحيفة 198 ما نصه: "**ومع وجود الاحتمال لا ينهض الاستدلال فكيف يكون مقدما على النص الصريح**".

وقال في الجزء 4 صحيفة 364 ما نصه: "**وإذا وقع الاحتمال في هذه الروايات لم يصح الاستدلال بشيء منها فيرجع إلى الروايات التي لم يختلف فيها**".

الشبهة الثانية: استدل فريد الباجي بكلام السيوطي في كتابه "انموذج اللبيب في خصائص الحبيب صلى الله عليه وسلم " والذي فيه: "أُختص صلى الله عليه وآله وسلم بأنه أول النبيين خلقاً، وبتقدم نبوته، فكان نبياً وآدم بين الماء والطين، وبتقدم أخذ الميثاق عليه، وأنه أول من قال: بلى يوم ألست بربكم"

الجواب: ذكر السيوطي في كتابه "قوت المغتذي شرح الترمذي" بعد أن ذكر الحديث: أوّل ما خلق الله تعالى القلم فقال: أما حديث أولية العقل فليس له أصل، وأمّا حديث أولية النور المحمدي فلا يثبت.

فالإمام السيوطي قال عن حديث أولية النور المحمدي"لا يثبت" ولو كان يذهب إلى ما يذهب إليه فريد الباجي لقاله و بينه. ثم إن حديث: "كنت نبيًّا وءادم بين الماء والطين" لا أصل له.

فمعنى كلام السيوطي أن رُوح سيدنا محمد صلّى الله عليه وسلّم خُلق قبلَ روح آدم، كما قال بعض العلماء وليست هي أول المخلوقات وأنه كان مشهوراً بوصف الرسالةِ عندَ الملائكة قبلَ أن يتمّ تكوينُ هيكل آدم.

الشبهة الثالثة: استدل فريد الباجي لينتصر لما يراه من أولية النور المحمدي بما قاله البيهقي في دلائل النبوة بسنده عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم: «لما خلق الله عز وجل آدم خيَّر لأدم بنيه، فجعل يرى فضائل بعضهم على بعض، فرآني نوراً ساطعاً في أسفلهم. فقال: يا رب! من هذا؟ قال: "هذا ابنك أحمد، هو الأول، والآخر، وهو أول شافع".

قال فريد الباجي عن هذا الحديث حسن ورجاله ثقات و لا تضر عنعنة الحسن فله شواهد وقال مرة أخرى في الفصل الثاني من كتابه حسن لغيره.

الجواب: هذا الحديث يروى من طريق مبارك بن فضالة القرشي، وفضالة فيه لين على صدقه، ونص ابن المديني أن له مناكير عن عبيد الله، وهو شيخه هنا، وتفرُّد فضالة بالحديث في طبقته ومرتبته وعزة مخرجه يوحي بأن هذا الحديث منها.

على أن البيهقي نفسه روى في كتابه دلائل النبوة أيضا حديثا رواه سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "لما اقترف آدم الخطيئة قال: يا رب أسألك بحق محمد إلا غفرت لي فقال الله تعالى يا آدم كيف عرفت محمدا **ولم أخلقه؟**" وهذا الحديث رواه أيضا الحاكم و الطبراني في الأوسط. وقد حقق الإمام تقي الدين السبكي في كتابه"شفاء الأسقام" أن هذا الحديث لا ينزل عن درجة الحسن.

فكيف يكون نور سيدنا محمد هو أول المخلوقات ورب العالمين يقول " **ولم أخلقه**" كما جاء في الحديث؟

وهذا الإمام ابن الجوزي يقول في نفس السياق ما نصه: "لم يزل ذكر نبينا صلى الله عليه وسلم منشورا وهو في طي العدم، توسل به آدم وأخذ له ميثاق الأنبياء على تصديقه"كما في كتابه المدهش جزء 1ص 141 .

كما أن معنى "الأول والآخر" في الحديث الذي ذكره فريد الباجي يمكن أن يستدل عليه أيضا بما أخرجه البيهقي قبله، وفيه: أن الخازن قال للرسول" مَنْ أَنْتَ ؟ فَيَقُولُ : أَنَا مُحَمَّدٌ، فَيَقُولُ : بِكَ أُمِرْتُ أَنْ لا أَفْتَحَ لأَحَدٍ قَبْلَكَ" فهو أول من يدخل الجنة، وبحديث "أَنَا أَوَّلُ شَفِيعٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَأَنَا أَكْثَرُ الأَنْبِيَاءِ تَبَعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ" وبحديث "نحن الآخرون الأولون، نحن آخر الأمم وأول من يحاسب".

الشبهة الرابعة: يستدل فريد الباجي أيضا بالحديث الذي رواه ابن عباس: أن قريشاً كانت نوراً بين يدي الله عز وجل قبل أن يخلق آدم عليه السلام بألفي عام يسبح ذلك النور، وتسبح الملائكة بتسبيحه فلما خلق الله عز وجل آدم عليه السلام ألقى ذلك النور في صلبه. رواه ابن عساكر

والجواب على ما يزعمه أن يقال: الرسول صلى الله عليه و سلم لم يخلق من نور ولا أصله نور، بل خلق من نطفة أبويه. فقد روى الطبراني في الأوسط وابن عدي وغيرهما عن علي بن أبي

طالب رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح من لدن آدم إلى أن ولدني أبي وأمي لم يصبني من سفاح الجاهلية شيء.
قال الحافظ ابن كثير : عند إيراده لحديث " أن قريشاً كانت نوراً بين يدي الله عز وجل" في البداية والنهاية 259/2 ما نصه: قال الحافظ ابن عساكر هذا حديث غريب جداً. قلت – أي ابن كثير– بل **منكر جداً**. انتهى

وأما روحُ النبي عليه الصلاة والسلام، فلم يَرِدْ في القرءانِ ولا في الحديثِ أنّه خُلِقَ من نور، لكنَّ الواردَ عن رسولِ الله، صلَّى الله عليه وسلَّم، بالإسنادِ الْمُتَّصِلِ الصحيحِ عند ابنِ حِبَّانَ وغيرِهِ أنَّ الله تعالى خلَقَ كلَّ شيءٍ من الماء، وصَحَّحَهُ الهيثميُّ في (مجمَع الزوائد). فيُفْهَمُ منه أنَّ روحَه، عليه الصلاة والسلام، خُلِقَ من الماءِ كسائر الأرواح.

<u>الشبهة الخامسة</u>: حديث "كنت أول النبيين في الخلق وآخرهم في البعث " هو حديث ضعيف من جهة الإسناد، لا كما زعم فريد الباجي حيث أنه عقب عليه بقوله: "المحفوظ أنه مرسل بسند صحيح". كما أن هذا الحديث لا دلالة فيه على وجود النور المحمدي.
قال الحافظ المحدث الشيخ عبد الله الهرري في كتابه بطلان دعوى أولية النور المحمدي" ص38 عن هذا الحديث ما نصه: «ضعيف، كما نقل ذلك العلماء ، وفيه بقية بن الوليد، وهو مدلس، وسعيد بن بشير، وهو ضعيف. ثم لو صح لم يكن فيه أنه أول خلق الله، وإنما فيه أنه أول الأنبياء، ومعلوم أن البشر أولهم آدم، الذي هو آخر الخلق، باعتبار أجناس المخلوقات».

فبعد تضعيف الحافظ للحديث لا عبرة بقول من هو دونه مرتبة. فالتصحيح والتضعيف وظيفة الحفاظ وليس وظيفة من هو دونهم, كما نقل الحافظ شمس الدين محمد بن عبد الرحمن بن محمد السخاوي في كتابه "فتح المغيث شرح ألفية الحديث" ص 48 المجلد الأول عن الحافظ زين الدين ابي الفضل عبد الرحيم بن الحسين العراقي المتوفى سنة 806 ه انه قال

"وَخُذْ زيادَةَ الصَّحِيحِ إِذْ تُنَصْ صِحَّتُهُ أَوْ مِنْ مُصَنَّفٍ يُخَصْ"

كما أن هذا الحديث ولو حاول فريد الباجي تخريجه على أنه مرسل بسند صحيح وتقديم شواهد له, فلا يرتقي إلى مرتبة الصحيح كحديث:" **إنَّ اللهَ لم يَخْلُقْ شيئًا ممّا خَلَقَ قبلَ الماء"**.
قال الحافظ ابن كثير في تفسيره (470/3): بعد أن ذكر الحديث: "سعيد بن بشير فيه ضعف"

و قال ابن نمير كما في "الجرح والتعديل" : سعيد بن بشير منكر الحديث، وليس بشيء، ليس بقوي الحديث، يروى عن قتادة المنكرات". انتهى
ومعنى الحديث على تقدير ثبوته أن اللهَ خَلَقَ روحَ مُحَمَّدٍ قبلَ سائر أرواحِ إخوانهِ الأنبياء ومعلوم أن البشر أولهم آدم الذي هو آخر الخلق باعتبار أنواع العوالم. ومعنى قوله "فبدئ به قبلهم" أي في أخذ الميثاق من الأنبياء.

قال السبكي كما في شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية ما نصه:" أقول لك قد جاء في الحديث أن الله خلق الأرواح قبل الأجساد **فقد تكون الإشارة بقوله كنت نبيا إلى روحه الشريفة**".

وقال ابن عربي في الفتوحات المكية ما نصه : "فأخبره الله تعالى بمرتبته وهو روح قبل إيجاده الأجسام الإنسانية كما أخذ الميثاق على بني آدم قبل إيجاده أجسامهم".
وقال السيوطي في كتابه "انموذج اللبيب في خصائص الحبيب صلى الله عليه وسلم " بعد ذكر ما اختص به الرسول ما نصه: وبتقدم أخذ الميثاق عليه –أي آدم – ، **وأنه أول من قال: بلى يوم ألست بربكم**".
ففرق بين أن يقال اللهَ خَلَقَ روحَ مُحَمَّدٍ قبلَ سائر أرواحِ الأنبياء وبين أن يقال أول خلق الله لأنه مخالف للأحاديثِ الثلاثةِ الصحيحةِ:" كان اللهُ ولم يكن **شيءٌ غيرُه وكان عرشُه على الماء**" و حديث "**كلُّ شيءٍ خُلِقَ من الماء**" و حديث "**إنَّ اللهَ لم يَخْلُقْ شيئًا ممّا خَلَقَ قبلَ الماء**".

هذا وقد روى أبو سهل القطان في أماليه كما جاء في سبل الهدى و الرشاد في الصحيفة 161 من الجزء الأول عن سهل بن صالح الهمذاني قال: سألت أبا جعفر محمد بن علي : كيف صار محمد صلى الله عليه وسلم يتقدم الأنبياء وهو آخر من بعث؟ قال: إن الله لما أخذ من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم وأشهدهم على أنفسهم: ألست بربكم، **كان محمد صلى الله عليه وسلم أول من قال بلى. ولذلك صار يتقدم الأنبياء وهو آخر من بعث**

الشبهة السادسة: استدل فريد الباجي بالحديث الذي رواه البيهقي وابن أبي حاتم و البزار و غيرهم، "وجعلتك أول النبيين خلقا" ثم عقب عليه بقوله اسناده حسن.

الجواب: ليعلم أن النبي صلى الله عليه و سلم قبل ولادته لم يكن موجودا كما قاله الغزالي و نقله عنه المناوي في فيض القدير. ثم إن هذا الحديث يروى من طريق أبي جعفر الرازي. قال ابن حبان في كتابه الثقات: **الربيع بن أنس** بن زياد البكري سكن مرو يروى عن أنس بن مالك روى عنه ابن المبارك، **وأبو جعفر الرازي**، والناس يتقون حديثه ما كان من رواية أبي جعفر عنه لأن فيها اضطرابا كثيرا. وقال في "مشاهير علماء الأمصار": الربيع بن أنس بن زياد البكري سكن مرو سمع أنس بن مالك وكان راوية لأبي العالية وكل ما في أخباره من المناكير إنما هي من جهة أبي جعفر الرازي. وقال الحافظ ابن كثير في تفسيره: "وأبو جعفر الرازي قال فيه الحافظ أبو زرعة الرازي: يهم في الحديث كثيرا. وقد ضعفه غيره أيضا ووثقه بعضهم، والظاهر أنه سيء الحفظ". وقال في كتابه "المجروحين":عيسى بن ماهان التميمي: أبو جعفر الرازي وكنيته ماهان أبو عيسى، أصله من مرو وانتقل إلى الرى فنسب إليها، يروى عن عطاء والربيع بن أنس، روى عنه وكيع وأبو نعيم، كان ممن ينفرد بالمناكير عن المشاهير، لا يعجبنى الاحتجاج بخبره إلا فيما وافق الثقات، ولا يجوز الاعتبار بروايته إلا فيما لم يخالف الاثبات. سمعت محمد بن محمود بن عدى يقول: سمعت على بن سعيد بن جرير يقول: سمعت أحمد بن حنبل يقول: أبو جعفر الرازي مضطرب الحديث.

وقال الذهبي في الميزان:"وروى حاتم بن إسماعيل، وهاشم أبو النضر، وحجاج بن محمد، وغيرهم،

عن أبي جعفر الرازي، عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية، عن أبي هريرة أو غيره، عن النبي صلى الله عليه وسلم حديثا طويلا في المعراج فيه ألفاظ منكرة جدا". انتهى

وقال الفلاس عن أبي جعفر الرازي:"فيه ضعف وهو من أهل الصدق سيء الحفظ". وقال النسائي:"ليس بالقوي".

فكيف تترك الحديث الصحيح الثابت لتعمل بما هو دونه يا فريد الباجي؟

الشبهة السابعة: استدلال فريد الباجي بكلام الإمام أحمد ونصه "قال لي أحمد : أول النبيين يعني خلقا ، "وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح" فبدأ به.

يجاب عليه بأن هذا الميثاق الذي أخذه الله على بني آدم كان حين استخرج أرواحهم من ظهر أبيهم آدم عليه السلام بعد نزوله إلى الأرض، فنثرهم بين يَديهِ كالذرِ ، فسألَهُمْ سُؤالاً تقريرياً ، قال لهم ألستُ بربكم ؟ فأجابُوهُ جميعاً بقولِهِم (بلى شهدنا) أي شهدنا بذلك.

جاء في تفسير ابن كثير عند الآية "**وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى**" ما نصه: **وقال الإمام أحمد** : حدثنا حسين بن محمد ، حدثنا جرير – يعني ابن حازم – عن كلثوم بن جابر عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " إن الله أخذ الميثاق من ظهر آدم ، عليه السلام ، بنعمان . يعني عرفة فأخرج من صلبه كل ذرية ذرأها فنثرها بين يديه ، ثم كلمهم قِبَلاً قال : ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين. :انتهى

وروى الإمَامُ ابنُ الجوزي ـ رحمه الله ـ عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما ؛ أن النبيَ صلى الله عليه وسلم قال: " أخَذَ اللهُ عزوجل الميثَاقَ مِن ظَهرِ آدمَ بِنَعمَان ـ يعني عرفة ـ فأخْرَجَ مِن صُلبِهِ كُلَّ ذُرِّيَةٍ ذَرَأهَا ، فَنَثَرَهُم بينَ يَديهِ كَالذَّرِ، ثُمَ كَلَّمَهُم قِبَلاً ؛ قال: أليستُ بِرَبِكُمْ ؟ قالوا بلى شهدنا" **رواه الإمام أحمد**.

هذا الحديث يدل على أن آدم خلق أولا، ثم أخرجت ذريته من صلبه كما **روى ذلك الإمام أحمد ابن حنبل.**

قال المناوي في فيض القدير ما نصه: "ومنه أخذ بعضهم قوله لما أخذ الله من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم **كان محمد أول من قال بلى ولهذا صار متقدما على الأنبياء وهو آخر من يبعث"**

وقالُ الإمَامُ السفَّاريني معلقا على هذا الأثر: هذا الحديثُ يدلُ على أنَ عرفةَ أولُ موطن النفس ولهذا تتوق النفوس إلى تِلكَ المعاقدَ لأجلِ ذلكَ العهدُ. ولعل من حِكَمِ الوقوفَ بعرفة تذكيرِ الناسِ بما أخذه اللّهُ عليهم من عهدٍ بذلك المكان .

فمن هنا يفهم أن الإمام أحمد أراد بقوله: " أول النبيين يعني خلقا" في الحديث الذي أورده فريد الباجي أنه لما أخرج الرسول صلى الله عليه و سلم من صلب أبيه آدم حين أنزل إلى الأرض، أخذ الله عليه الميثاق قبل نوح ومن جاء بعده، ولهذا قال الإمام أحمد بعد ذكر الآية: فبدأ به قبلهم أي قبل من ذُكِر في هذه الآية..

والعجيب من فريد الباجي أنه قال في الصحيفة 24 من كتابه المسمى القول المتين عند تكلمه عن ميثاق الأنبياء ما نصه:" **ولكن أكثر السلف على أن استخراج ذرية آدم منه كان بعد نفخ الروح فيه, وعلى هذا يدل أكثر الأحاديث**, فتحمل على هذا أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم خص باستخراجه من ظهر آدم قبل نفخ الروح فيه".

فيكون فريد الباجي صرح بأن ما يذهب إليه من أولية الرسول وأخذه الميثاق قبل خلق آدم مناقض لما كان عليه أكثر السلف, وليس له فيما يذهب إليه دليل قاطع يعتمد عليه سوى ما نقله بعض العلماء كابن رجب الحنبلي في كتابه "لطائف المعارف" حيث قال: "فيحتمل أن يكون ذلك دليلاً على أنّ استخراج ذرية آدم من ظهره و أخذ الميثاق منهم كان قبل نفخ الرُّوح في آدم ، و قد روي هذا عن سلمان الفارسي و غيره من السَّلَف"انتهى

وقال بعد ذلك –أي ابن رجب الحنبلي– ما نصه:" **لكن أكثر السلف على أن استخراج ذريّة آدم منه كان بعد نفخ الروح فيه ،و على هذا يدلّ أكثر الأحاديث**".

وحتى ما رواه أبو سهل القطان في أماليه والذي فيه:" كيف صار محمد صلى الله عليه وسلم يتقدم الأنبياء وهو آخر من بعث؟ قال: **إن الله لما أخذ من بني آدم** من ظهورهم ذرياتهم **وأشهدهم على أنفسهم**: ألست بربكم، كان محمد صلى الله عليه وسلم أول من قال بلى", ليس فيه أن الله أخذ الميثاق من الرسول قبل نفخ الروح في آدم.

وكذلك الحديث الذي فيه أن الرسول سئل "مَتَى اسْتُنْبِئْتَ؟ فَقَالَ وَآدَمُ بَيْنَ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ حِينَ أُخِذَ مِنِّي الْمِيثَاقُ" لا يصلح أن يحتج به في مثل هذا المقام فهو حديث مرسل:

وعامر هو الشعبي تابعي وقد أرسله، وجابر هو الجعفي وهو ضعيف. وهذا كاف في نقض ما يدعيه مهما حاول أن يدور حول هذه المسألة.

ملاحظة:

لما أورد فريد الباجي هذا الأثر في الصحيفة 25 قال ما نصه: وهذه الرواية تدل على أنه صلى الله عليه و سلم حينئذ استخرج من ظهر آدم و نبئ وأخذ ميثاقه, **فيحتمل** أن يكون ذلك دليلا على أن استخراج ذرية آدم من ظهره وأخذ الميثاق منهم كان قبل نفخ الروح في آدم. انتهى.

في هذا الموضع أورد عباراته بصيغة الاحتمال. أما في الصحيفة 33 فقال: **والأصح على ما يقتضيه التوفيق بين الأدلة**: أن الله تعالى بعدما خلق رسول الله صلى الله عليه و سلم روحا نورانية وقبل أن ينفخ الروح في آدم وهو بين الروح و الجسد كما في الحديث المتقدم أخذ منه الميثاق العام الذي أخذه على عباده. انتهى.

هكذا بالتصحيح، بعدما أول النصوص الثابتة على ما تقتضيه معاني النصوص الضعيفة بما يوافق مذهبه. وترجيحه للاحتمال حتى يوفق بين النصوص مناقض للقواعد الحديثية كما سبق

بيانه. فقد قال الشاطبي رحمه الله تعالى: وقد علم العلماء أنَّ كلَّ دليل فيه اشتباهٌ وإشكالٌ، ليس بدليل في الحقيقة حتى يتبين معناه ويظهر المراد منه، ويشترط في ذلك أن لا يعارضه أصلٌ قطعيٌّ، فإذا لم يظهر معناه لإجمال أو اشتراك، أو عارضه قطعيٌّ؛ كظهور تشبيه، فليس بدليل، لأن حقيقة الدليل أن يكون ظاهراً في نفسه، ودالاًّ على غيره، وإلا احتيج إلى دليل عليه، فإن دلَّ الدليل على عدم صحته، فأحرى أن لا يكون دليلاً.

الشبهة الثامنة: استشهد فريد الباجي بجملة من الأحاديث لاثبات أولية نور الرسول على زعمه ومنها: الحديث الذي رواه الحاكم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: "قيل للنبيّ صلى الله عليه وسلم: متى وجبت لك النبوّة؟ قال: بين خلق ءادم ونفخ الروح فيه" والحديث الذي رواه أحمد من طريق عبد الله بن شقيق، عن رجل قال: "قلت: يا رسول الله متى جعلت نبيًّا؟ قال: وءادم بين الروح والجسد" والحديث الذي رواه ابن سعد في الطبقات وفيه أن الرسول قال: بين الروح والطين من آدم" والحديث الذي رواه البزار والطبراني عن ابن عبّاس رضي الله عنهما قال: "قيل: يا رسول الله متى كنت نبيًّا؟ قال: وءادم بين الروح والجسد" والحديث الذي رواه البيهقي في الدلائل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إني عند الله في أمّ الكتاب لخاتمُ النبيين، وإن ءادم لمنجدل في طينته".

الجواب: هذه الأحاديث يفسر معناها بما قاله الحافظ البيهقي ونصه:"قوله صلى الله عليه وسلم: "إني عند الله في أمّ الكتاب لخاتم النبيين وان ءادم لمنجدل في طينته" يريد انه كان كذلك في قضاء الله وتقديره قبل أن يكون أبو البشر وأوّل الأنبياء صلوات الله عليهم" وهو الذي ذهب إليه الشيخ عبد الله الصديق الغماري أيضا في رسالته مرشد الحيارى قال : "وهو يفيد أنّ معنى كونه نبياً: إظهار ذلك في العالم العلوي قبل نفخ الروح في آدم عليه السلام".

فبطل ما يدعيه فريد الباجي بنص البيهقي و الغماري رحمها الله تعالى.

وقال المباركفوري في تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي: "قالوا له : متى وجبت لك النبوة أي : ثبتت، قال :"وآدم بين الروح والجسد"، أي وجبت لي النبوة، والحال أنّ آدم مطروح على الأرض صورة بلا روح، والمعنى أنّه قبل تعلّق روحه بجسده .

وقال الشيخ أنو شاه الكشميري في العرف الشذي ما نصه: قوله : " متى وجبت لك النبوة؟ قال : وآدم بين الروح والجسد " أي كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نبياً وجرت عليه أحكام النبوة من ذلك الحين بخلاف الأنبياء السابقين ، فإن الأحكام جرت عليهم بعد البعثة كما قال مولانا الجامي أنه كان نبياً **قبل النشأة العنصرية**

فتفسير العلماء لهذه الأحاديث تدل على أن معناها واحد ولا تدلّ على أوّليّته صلى الله عليه وسلم بالنسبة لجميع الخلق، وإنما تدلّ على أنّ الرسول كان مشهورًا بوصف الرسالة بين الملائكةِ في الوقتِ الذي لم يتم تكوُّنُ جسدِ ءادم بدخولِ الروح فيه.

الأنبياء عليهم السلام جميعهم نبوتهم ثابتة في تقديره وقضائه، لكن لم يرد في خبر أنّ الله تعالى أظهر نبوة أحد منهم بالتعيين قبل خلق آدم، فلم يكن ذلك إلاّ لنبينا صلى الله عليه و سلم وهذا معنى قوله : "كنت نبياً وآدم بين الروح والجسد" أي أنّ الملائكة عرفوا اسمه ونبوته قبل خلق آدم عليه السلام، وهم لم يعرفوا آدم إلاّ بعد خلقه.

الشبهة التاسعة:الحديث الذي يروى عن ميسرة وفيه: قلت يا رسول الله متى كنت نبيًّا؟ قال: "لما خلق الله الأرض واستوى إلى السماء فسواهن سبع سموات وخلق العرش كتب على ساق العرش: محمّد رسول الله خاتم الأنبياء، وخلق الله الجنّة التي أسكنها ءادم وحوّاء فكتب اسمي على الأبواب والأوراق والقباب والخيام، وءادم بين الروح والجسد، فلما أحياه الله تعالى نظر إلى العرش فرأى اسمي فأخبر أنه سيد ولدك، فلما غرهما الشيطان تابا واستشفعا باسمي إليه" انتهى، كذلك يفيد

أن معنى كونه نبيًّا: إظهار ذلك في العالم العلوي قبل نفخ الروح في ءادم عليه السلام كما تقدم ولا يفيد أن الرسول هو أول المخلوقات أو أنه خلق من نور.

الله قال في محكم تنزيله: "**قل إنما أنا بشر مثلكم** " و الرسول قال "**كلكم لآدم وآدم من تراب** "

فهذه الآية وهذا الحديث يدل دلالة قطعية على أن محمداً صلى الله عليه وسلم من آدم المخلوق من تراب وأنه بشر ولم يخلق من نور وليس أصله نور بل خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب.

ثم إن الأفضلية ليست بالأسبقية في الوجود بل الأفضلية بتفضيل الله، فالله تعالى يفضّل ما شاء من خلقه على ما شاء، فالله تعالى جعل سيدنا محمدًا أفضل خلقه على الإطلاق وأكثرهم بركة.

ثم لينظر إلى ما قاله فريد الباجي في الصحيفة 25 من كتابه وما فيه من تناقض مع كل ما يدعيه:" فقوله صلى الله عليه وسلم كنت نبيا, لم يقل كنت إنسانا, **ولا كنت موجودا** في أول خلق الزمان في عالم الغيب"!!

الشبهة العاشرة: قال فريد الباجي في الصحيفة 29: "وفي هذه الأحاديث و بخاصة رواية المخلص دلالة على أن الأولية المذكورة في الحديث أولية مطلقة وهي غير أولية الشفاعة وفي رواية الأول معرفة و هي هنا للاستغراق **وبها نجيب عما ورد "أن أول ما خلق الله الماء ثم العرش"** وفي أحاديث آخر أن أول ما خلق الله القلم , **فهي أولية نسبية**.

الرد: كلام أمير المؤمنين في الحديث الحافظ ابن حجر العسقلاني يبطل كل ما ادعاه فريد الباجي. يقول ابن حجر في فتح الباري شرح صحيح البخاري , في كتاب بدء الخلق ما نصه:

باب ما جاء في قول الله تعالى "وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه"

قوله : "وكان عرشه على الماء". قال الطيبي : هو فصل مستقل لأن القديم من لم يسبقه شيء،

ولم يعارضه في الأولية، لكن أشار بقوله "وكان عرشه على الماء" **إلى أن الماء والعرش كانا مبدأ هذا العالم** لكونهما خلقا قبل خلق السموات والأرض، ولم يكن تحت العرش إذ ذاك إلا الماء.
ومحصل الحديث أن مطلق قوله "وكان عرشه على الماء" مقيد بقوله "ولم يكن شيء غيره" والمراد بـ"كان" في الأول الأزلية وفي الثاني الحدوث بعد العدم.
وقد روى أحمد والترمذي وصححه من حديث أبي رزين العقيلي مرفوعا أن الماء خلق قبل العرش. وروى السدي في تفسيره بأسانيد متعددة "**أن الله لم يخلق شيئا مما خلق قبل الماء**"
وأما ما رواه أحمد والترمذي وصححه من حديث عبادة بن الصامت مرفوعا "أول ما خلق الله القلم ، ثم قال اكتب ، فجرى بما هو كائن إلى يوم القيامة "فيجمع بينه وبين ما قبله بأن أولية القلم بالنسبة إلى ما عدا الماء والعرش أو بالنسبة إلى ما منه صدر من الكتابة، أي أنه قيل له اكتب أول ما خلق، وأما حديث أول ما خلق الله العقل فليس له طريق ثبت، وعلى تقدير ثبوته فهذا التقدير الأخير هو تأويله والله أعلم"
كما قال الحافظ ابن حجر في الجزء 9 ص 473 من فتح الباري ما نصه: وقد وقع في قصة نافع بن زيد الحمري بلفظ "كان عرشه على الماء ثم خلق القلم" فقال: "اكتب ما هو كائن, ثم خلق السماوات و الأرض وما فيهن" **فصرح بترتيب المخلوقات بعد الماء و العرش**" انتهى

فكلام ابن حجر في هذه المسألة موافق لما جاءت به النصوص الثابتة الصحيحة بخلاف ما يدعيه فريد الباجي الذي ابتدع من عنده كلاما يزعم فيه الجمع بين تلك الأحاديث التي أوردها فقال: "فعليه فيكون الترتيب الوجودي للكائنات جمعا بين أحاديث الأولية المطلقة في وجود رسول الله صلى الله عليه وآله سلم وبين بقية الأحاديث في أولية الماء والعرش و القلم على النسبية, و هي كالتالي: الأول على الإطلاق هو رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم روحا ونورا كما قال إمام أهل السنة و الجماعة فيما أخرجه الخلال في السنة (ج 1 ص 43) ثم قال: قال لي أحمد ابن حنبل أول النبيين يعني خلقا قال تعالى " وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك و من نوح وابراهيم و موسى وعيسى ابن مريم " فبدأ به. ثم الماء ثم العرش ثم القلم ثم بقية المخلوقات." انتهى

فمثل هذا الكلام لا يحتج به لمعارضة الأحاديث الصحيحة, وقد بيننا أن السلف الصالح كانوا على أن أخذ الميثاق من الأنبياء كان بعد نفخ الروح في آدم ليس قبله. فهذا كله علامة العصبية المذمومة أن يتمسك الشخص برأيه ويترك الصواب. فقد حاول فريد الباجي أن يحمل بعض النصوص ما لا تحتمله من معاني وخالف في بعض ما استدل به من أحاديث القاعدة التي تَنُصُّ على أنَّ الحديثَ الضعيفَ إذا خالف الحديثَ الثابتَ فلا حاجةَ إلى التأويل، بل يُعْمَلُ بالثابتِ ويُتْرَكُ الضعيف _ وذلك مقرَّر في كتب المصطلح وكتبِ الأصول _ كل ذلك لنصرة مذهبه المخالف لمذهب السلف و مذهب أهل السنة.

ولمزيد التوضيح نقول:

اتفق الأصوليون على أنَّ النص لا يُؤول إلا لدليل سمعي ثابت أو دليل عقلي قاطع فقالوا: لا يجوز تأويل النص لغير ذلك وإن ذلك عبث والنصوص تُصان عن العبث، ذكر ذلك كثير منهم كصاحب المحصول.

فبعد هذا يبطل تأويل المؤولين لحديث أولية الماء بأن أوليته نسبية لتأييد قولهم: إن أول ما خلق الله نور محمد.

أما تأويل حديث أولية القلم للتوفيق بينه وبين حديث أولية الماء فذلك حق وصواب لأن كلا الحديثين ثابت، وفي هذا مقنع للمتدبر المنصف.

ثم إن أحدهما أقوى من الآخر إسنادًا وهو حديث أولية الماء، فإن حديث أولية القلم دونه في القوة فسلكنا مسلك التأويل لحديث أولية القلم بأنها أولية نسبية وأن أولية الماء مطلقة جريًا على القاعدة: "إذا تعارض مقبولان أي صحيحان جُمع بينهما إن أمكن الجمع" وهنا وجدنا الجمع ممكنًا بالتأويل، فإن قلنا: أولية القلم فهي بالنسبة للكتابة أي أن القلم أول ما خُلق للكتابة، فصح الجمع بينهما وزال التعارض.

الشبهة الحادية عشر: عقد فريد الباجي في كتابه فصلا ثان زعم فيه أنه صلى الله عليه و سلم بعث نبيا و رسولا داعيا إلى الله تعالى في عالم الغيب و الذر إلى أرواح العالمين لما كان جوهره نورا مستشهدا بقوله تعالى:" قَدْ جَآءَكُمْ مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ"

الجواب: جاء في تفسير ابن كثير ما نصه: ثم أخبر تعالى عن القرآن العظيم الذي أنزله على نبيه الكريم فقال "**قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام**" أي طرق النجاة والسلامة ومناهج الاستقامة, "**ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم**" أي ينجيهم من المهالك, ويوضح لهم أبين المسالك فيصرف عنهم المحذور, ويحصل لهم أحب الأمور, وينفي عنهم الضلالة, ويرشدهم إلى أقوم حالة.

وهذا هو المعنى الذي أراده الطبري أيضا في تفسيره و الذي أودعه فريد الباجي كتابه وكأنه يناقض نفسه. قال الطبري: فهو نور لمن استنار به **يبين الحق** . **ومن إنارته الحق تبيينه لليهود كثيرا مما كانوا يخفون من الكتاب** .

ولله درّ القائل:

أبان مولده عن طيب عنصره يا طيب مبتدأ منه ومختتم

كالشمس تظهر للعينين من بعد صغيرة وتكل الطرف من أمم

وكيف يدرك في الدنيا حقيقته قوم نيام تسلوا عنه بالحلم

فمبلغ العلم فيه أنه بشر وأنه خير خلق الله كلهم

الشبهة الثانية عشر: صار فريد الباجي يتلقف كل آية أو حديث يتضمن كلمة "نور" أو "منير" ليوهم الناس أن الرسول حقيقته من نور. فمثلا أورد الآية " **يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا**" و عقب على هذه الآية بقوله : "لما كان صلى الله عليه و آله وسلم سراجا منيرا لجميع الكائنات حسا ومعنى ظاهرا و باطنا, فهو نور من باب أولى".انتهى. وهذا من الغلو الذي نهى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم.

هذه الآية الكريمة معناها كما جاء في تفسير القرطبي : "وسراجا منيرا " هنا استعارة للنور الذي يتضمنه شرعه . وقيل : وسراجا أي هاديا من ظلم الضلالة ، وأنت كالمصباح المضيء . ووصفه بالإنارة لأن من السرج ما لا يضيء.

ثم قال القرطبي ما نصه: وأسند النحاس قال : حدثنا محمد بن إبراهيم الرازي قال حدثنا عبد الرحمن بن صالح الأزدي قال حدثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربي عن شيبان النحوي قال حدثنا قتادة عن عكرمة عن ابن عباس قال : "لما نزلت يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا . وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا "دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا ومعاذا فقال : انطلقا فبشرا ولا تعسرا فإنه قد نزل علي الليلة آية يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا –من النار – وداعيا إلى الله – قال – شهادة أن لا إله إلا الله – بإذنه – بأمره – وسراجا منيرا – قال – بالقرآن .وقال الزجاج :وسراجا أي وذا سراج منير ، أي كتاب نير . وأجاز أيضا أن يكون بمعنى : وتاليا كتاب الله. انتهى

وقال ابن الجوزي في الحاوي ما نصه: "وسراجًا منيرًا" أي: أنت لِمَن اتَّبعك "سراجًا" أي: كالسِّراج المضيء في الظلمة يُهتدى به. انتهى

فالرسول محمد عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم نور العقول والقلوب وليس معناه أنه خلق من النور.

الشبهة الثالثة عشر: استدلال فريد الباجي بما جاء من المبشرات بنبوته صلى الله عليه وسلم و بأن أم الرسول حين حملت به رأت نورا أضاءت له قصور بصرى فلا حجة له فيها لأن هذه رؤيا منامية. فعن خالد بن معدان عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه سلم أنهم قالوا : يا رسول الله ، أخبرنا عن نفسك. قال : "دعوة أبي إبراهيم ، وبشرى عيسى ، ورأت أمي حين حملت بي كأنه خرج منها نور أضاءت له قصور بصرى من أرض الشام " . أخرجه الطبري في تفسيره ،

والحاكم في مستدركه. وروى الطبراني أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : "**ورأت أمي في منامها** أنه خرج من بين رجليها سراج أضاءت له قصور الشام"

كذلك الرسول لما ولد يروى أنه خرج **معه** نور ولا يجوز اعتقاد أن جسمه صلى الله عليه وسلم من نور. ففي الطبقات الكبرى لابن سعد ما نصه: أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ ، أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُسْلِمٍ ، عَنِ الزُّهْرِيِّ ، قَالَ : وَحَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ عُبَيْدَةَ ، عَنْ أَخِيهِ ، وَمُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ الْقُرَظِيِّ ، قَالَ : وَحَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ الزُّهْرِيُّ ، عَنْ عَمَّتِهِ أُمِّ بَكْرٍ بِنْتِ الْمِسْوَرِ ، عَنْ أَبِيهَا ، قَالَ : وَحَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْمَدَنِيُّ ، وَزِيَادُ بْنُ حَشْرَجٍ ، عَنْ أَبِي وَجْزَةَ ، قَالَ : وَحَدَّثَنَا مَعْمَرٌ ، عَنِ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ ، قَالَ : وَحَدَّثَنَا طَلْحَةُ بْنُ عَمْرٍو ، عَنْ عَطَاءٍ ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ دَخَلَ حَدِيثُ بَعْضِهِمْ فِي حَدِيثِ بَعْضٍ :أَنَّ آمِنَةَ بِنْتَ وَهْبٍ ، قَالَتْ : " لَقَدْ عَلِقْتُ بِهِ- تَعْنِي رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَمَا وَجَدْتُ لَهُ مَشَقَّةً حَتَّى وَضَعْتُهُ ، فَلَمَّا فَصَلَ مِنِّي **خَرَجَ مَعَهُ نُورٌ أَضَاءَ لَهُ** مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ إِلَى الْمَغْرِبِ ، ثُمَّ وَقَعَ عَلَى الأَرْضِ مُعْتَمِدًا عَلَى يَدَيْهِ ، ثُمَّ أَخَذَ قَبْضَةً مِنْ تُرَابٍ فَقَبَضَهَا وَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ : وَقَعَ جَاثِيًا عَلَى رُكْبَتَيْهِ رَافِعًا رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ وَخَرَجَ مَعَهُ نُورٌ أَضَاءَتْ لَهُ قُصُورُ الشَّامِ وَأَسْوَاقُهَا حَتَّى رَأَيْتُ أَعْنَاقَ الإِبِلِ بِبُصْرَى" .

الشبهة الرابعة عشر: استدلال فريد الباجي بالقصة التي مفادها أن امرأة رأت نور النبوة في وجه عبد الله بن عبد المطلب أبو النبي صلى الله عليه وسلم ، فدعته إلى نفسها ، فحال الله بينها وبين حصول ذلك فهذه القصة مشهورة مروية في عامة كتب السيرة ودلائل النبوة ، ولها طرق وأسانيد متعددة ، ولكن عامة أسانيدها واهية كما أن الروايات اضطرابت في تحديد اسم المعترضة لأجل النور

ففي بعض الروايات هي أم قتال أخت ورقة بن نوفل و في بعضها امرأة خثعمية وفي بعض الروايات هي ليلى العدوية.

قال الإمام الحافظ العراقي رحمه الله تعالى في فاتحة "ألفيته" في السيرة النبوية ص2:

وليعلم الطالب أن السـيرا تجمع ما صح وما قد أنكرا

والقصد ذكر ما أتى أهل السير به وإن اسناده لم يعتبر

أما قول فريد الباجي عن حديث هذه القصة:"حسن لغيره و قد أساء من حكم عليه بالضعف" فيجاب عنه بأن يقال: العبرة في التصحيح والتضعيف أن يكون من حافظ أي أن يَنُصَّ حافظ على أن هذا الحديث صحيح أو أن يذكر حافظ في كتابه أنه يقتصر فيه على الصحيح كالحافظ سعيد بن السَّكن فإنه ألَّف كتابًا اشترط فيه الاقتصار على الصحيح سمّاه "السنن الصحاح". ويؤيد هذا ما ذكره الحافظ السيوطي في ألفيته في مصطلح الحديث:

وخذه حيث حافظ عليه نصّْ أو من مصنف بجمعه يُخَصّْ

وأما غير الحفاظ فلا عبرة بتصحيحهم ولا بتضعيفهم، فحديث أولية النور المحمدي لم يصححه حافظٌ من الحفاظ لا من المتقدمين ولا من المتأخرين، ولم يُذكر في كتاب اشترط فيه مؤلفه الحافظ أنه يقتصر فيه على الصحيح. وعلى تقدير أن الحديث حسن كما قال فريد الباجي فهو لا يدل أن نور النبي له أولية مطلقة أو أن النبي من نور بل يدل صراحة أن الرسول خلق من نطفة أبويه.

<u>الشبهة الخامسة عشر:</u> استشهد فريد الباجي ليأيد مذهبه بدعاء الرسول صلى الله عليه وسلم" اللَّهمَّ اجعلْ في قلبي نوراً وفي سمعِي نوراً وفي بصري نورا وعن يميني نوراً وعن شمالي نورا وأمامي نورا وخلفي نورا و فوقِي نوراً و تَحتِي نوراً واجعل لي نورا واجعلني نورا".

وهذا الأثر حجة عليه لا له، فلو أن الرسول كان نورا حقيقة كما يقول فريد الباجي فلماذا يقول صلى الله عليه وسلم: " واجعلني نورا"؟

وهل يدل هذا الأثر أن الرسول خلق من نور ؟

معنى قول الرسول عليه الصلاة والسلام:" اللهم اجعل في قلبي نورًا وفي لساني نورًا واجعل في سمعي نورًا واجعل في بصري نورًا" أي خيرًا في كل هذه الأعضاء. وهذا ما قاله النووي في شرحه على مسلم عند ذكر هذا الحديث: "سأل النور في أعضائه وجهاته، والمراد به بيان الحق، وضياؤه، والهداية إليه؛ فسأل النور في جميع أعضائه، وجسمه، وتصرفاته، وتقلباته، وحالاته، وجملته في جهاته الست؛ حتى لا يزيغ شيء منها عنه"

وقال أبو الحسن السندي كما في حاشية السندي على النسائي: "اجعل في قلبي نوراً.. الخ المراد بالنور أما الهداية والتوفيق للخير، وهذا يشمل الأعضاء كلها؛ لظهور آثاره في الكل, أو المراد ظاهر النور؛ والمقصود أن يجعل الله – تعالى– له في كل عضو من أعضائه نوراً يوم القيامة يستضيء به في تلك الظلم ومن تبعه، والله تعالى أعلم"

الشبهة السادسة عشر: استدلاله بحديث "كنت قاعدة أغزل والنبي صلى الله عليه و على آله و سلم يخصف نعله فجعل جبينه يعرق وجعل عرقه يتولد نوراً فبهت ، فقال : "مالك بهت"؟ "قلت : جعل جبينك يعرق وجعل عرقك يتولد نوراً".

هذا الأثر ليس فيه أن الرسول من نور بل هذا تعبير على شدة الجمال ويفهم هذا من سياق الحديث وبدليل قول عائشة:

ولو رآك أبو كبير الهذلي لعلم أنك أحق بشعره حيث يقول:

ومبرأ من كل حيضة وفساد مرضعة وداء مغيل

وإذا نظرت إلى أسرة وجهه برقت بروق العارض المتهلل

فهذا الشاعر عبر عن شدة الجمال بقوله: وإذا نظرت إلى أسرة وجهه, برقت بروق العارض المتهلل فهل يقول فريد الباجي أن ممدوح أبا كبير الهذلي من نور أيضا؟ إلى هذه الدرجة صار

يتتبع كل حديث فيه كلمة نور مضافة إلى الرسول ليستدل بها على زعمه أن الرسول خلق من نور؟

الشبهة السابعة عشر: استدلال هذا الرجل بحديث: " لم يكن يرى له ظل في شمس ولا قمر ولا أثر قضاء حاجة".

يجاب عنه بأن يقال أن هذا الأثر ليس له أصل مرفوع، وإنما يذكره المتوسعون في كتب السيرة التي يجمع مؤلفوها بين الثابت وما لا يثبت والموضوع وما لا أصل له!

وهذا السيوطي على سعة اطلاعه لم يجد له مخرجاً في الخصائص الكبرى سوى أن قال: أخرج الحكيم الترمذي من طريق عبد الرحمن بن قيس الزعفراني، عن عبد الملك بن عبد الله بن الوليد، عن ذكوان، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن يرى له ظل في شمس ولا قمر ولا أثر قضاء حاجة.

فهذا غاية ما أُسند في الباب، وهو كعدمه، ففيه على إرساله عبد الرحمن الزعفراني، وقد كذّبه ابن مهدي وأبوزرعة، وتركه بقية الحفاظ، فضلا عن جهالة الوسائط بين الحكيم الترمذي والزعفراني!

وعلى فرضية ثبوته فكون الرسول لم يكن يرى له ظل في شمس لأن الغمامة كانت تظله كما في قصة الراهب بحيرى. لكن فريد الباجي عقب على هذا الأثر بقوله "كونه لا ظل له لأنه نور والنور لا ظل له". وهنا ينبغي التنبيه على مسألة مهمة: وهي أن الذي يعتقد أن الله خلق نور محمد قبل كل الأشياء هذا يغلط وكذلك الذي يعتقد أن روح محمد خُلق من نور يغلط أيضا لمخالفته ثلاثة أحاديث ثابتة ، لكن من يعتقد أن جسد محمد خُلق من نور فهو كافر لتكذيبه القرءان، قال تعالى: "**قل إنما أنا بشر مثلكم** ".

جسد النبي ليس مخلوقا من نور كما يقول فريد الباجي .فها هو شاعر رسول الله حسان بن ثابت لما أعطاه كفار قريش مبلغا من المال – و ذلك قبل إسلامه – ليهجوَ النبي صلى اللّه

عليه و سلم، فوقف حسّان على ربوةٍ ينتظرُ مجيء الرسول عليه السلام لينظر إلى صفة من صفاته فيهجوه بها و مرّ الحبيب المصطفى، فلمّا رآه حسّان رجع إلى قريش فردّ لهم المال و قال: هذا مالكم ليس لي فيه حاجه، و أمّا هذا الذي أردتم أن أهجوه الّلهم إني أشهدك أني أشهد أنه رسول اللّه فقالوا: ما دهاك ؟ ما لهذا أرسلناك !! فأجابهم بهذا الشعر:

لمّا رأيتُ **أنواره** سطعت وضعت من خيفتي كفّي على بصري
خوفاً على بصري **من حسن صورته** فلستُ أنظره إلا على قدري
روح من النور **في جسم من القمر** .. كحلية نسجت من الأنجم الزهر

فهذا حسان ابن ثابت شبه جمال جسم الرسول كأنه قمر ولم يقل جسم نوراني و أما قوله "روح من نور" أي تظهر عليه أنوار التقوى وعلامات النبوة و لا نظن فريد الباجي سيقول أن حسان ابن ثابت عرف من نفسه وهو حديث عهد باسلام أن روح الرسول مخلوقة من نور.

الشبهة الثامنة عشر: استدل فريد الباجي لاثبات أن الرسول نور على الحقيقة على زعمه بما أخرج ابن مردويه عن ابن عباس رضي الله عنهما "الله نور السماوات والأرض" قال: الله هادي أهل السموات والأرض "مثل نوره" يا محمد في قلبك كمثل هذا المصباح في هذه المشكاة، فكما هذا المصباح في هذه المشكاة كذلك فؤادك في قلبك. وشبه قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكوكب الدري الذي لا يخبو – أي لا يزول –. انتهى

لكنه ما أكمل بقية الكلام وهو:"**يكاد زيتها يضيء**" فيقول: يكاد محمد ينطق بالحكمة قبل أن يوحى إليه بالنور الذي جعل الله في قلبه.

هذا وقد أخرج ابنُ جرير وابنُ المنذر وابنُ أبي حاتم والبيهقيُ في الأسماء والصفات من طريق عليّ بن أبي طلحةَ عن ابنِ عباس رضي الله عنهما: قوله تعالى" **اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ**" قال:

"هادي أهلِ السمواتِ والأرضَ "مَثَلُ نُورِهِ" مَثَلُ هُداهُ في قلبِ المؤمنِ كما يكادُ الزيتُ الصافي يُضيءُ قبلَ أن تمسَّه النارُ فإذا مستهُ النارُ ازدادَ ضوءًا على ضوء، كذلك يكونُ قلبُ المؤمنِ يعملُ بالهدى قبلَ أن يأتِيَه العلمُ، فإذا أتاهُ العلمُ ازداد هدىً على هدىً ونورًا على نورٍ.اهـ.

تحذير من بعض العبارات الشنيعة التي تقال في المولد

ليحذر مما يقوله بعض الناس:"إنَّ الله قبَض قَبْضَةً من نورِه وقال لها كوني مُحَمَّدًا فكانت مُحَمَّدًا". فمن أخذ بظاهر هذا الكلامِ ظانًّا أنَّ الله ضوءٌ أو يَتَّصِلُ به ضوء فهو كافر بربه. أما من كان يفْهَمُ من هذه العبارةِ الفاسدةِ أنَّ الرسولَ جزءٌ من نورٍ مخلوقٍ للهِ مُشَرَّفٍ عندَ الله، فتكونُ الإضافةُ للتشريف، أي أنَّ ذاك النورَ مضافٌ إلى اللهِ للتشريفِ لا لإثباتِ أنَّ للهِ جزءًا هذا لا يكفر ولكن أخطأ. فمن كان لا يَظُنَّ أنَّ اللهَ ضوءٌ أو أنَّ الله يَتَّصِلُ به ضوءٌ أو أنَّ مُحَمَّدًا جزءٌ من نورٍ مُتَّصِلٍ بذاتِ الله وكان مُنَزِّهًا لربِّه فقد أخطأ خطأً كبيرًا.

وأمَّا قولُ بعضِ الجُهَّالِ :"إنَّ الله قبض قبضةً من نور وجهه وقال لها كوني مُحَمَّدًا فكانت مُحَمَّدًا" فهذا كفرٌ صريح لا يُؤَوَّلُ لأنَّ فيه ادِّعاءَ أنَّ الله قد انحلَّ من ذاتِهِ شيء. وهذه العبارة موجودة في كتاب مدسوس على ابن الجوزي واسمه "مولد العروس" نسبه إليه المستشرق بروكلمان. وهذه العبارة فيها نسبة الجزئية لله تعالى، والله منزه عن الجزئية والانحلال، فهو لا يقبل التعدد والكثرة، ولا التجزء والانقسام، والله منزه عن ذلك لا يشبه شيئًا من خلقه ولا يشبهه شيء من خلقه.

ومن الكذب الذي انتشر في بعض كتب المولد أيضا ما يروى أن جبريل عليه السلام كان يتلقى الوحي من وراء حجاب، وكُشف له الحجاب مرة فوجد النبي صلى الله عليه وسلم يوحي إليه

فقال جبريل: "منك وإليك ، فهذا من الكذب الشنيع المخالف لقوله تعالى: "**وكذلك أوحينا إليك روحًا من أمرنا**" .

وكذلك من الكذب ما يروى عن أبي هريرة أنه قال: سأل النبيُّ صلى الله عليه وسلم فقال: يا جبريل كم عمرتَ من السنين؟ فقال: يا رسول الله لا أعلم، غير أن في الحجاب الرابع نجمًا يطلع في كل سبعين ألف سنة مرة، رأيته اثنين وسبعين ألف مرة، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: وعزة ربي أنا ذلك الكوكب.

الخاتمة

وفي ختام هذه الرسالة نأكد للقارئ أن ما ذكرناه من إبطال دعوى أولية النور المحمدي يتوافق وينسجم مع عقيدتنا الراسخة أن سيدنا محمدًا صلى الله عليه و سلم هو أفضل الخلق وأحبهم إلى الله. ولو أردنا تتبع ما ورد في فضله وعلو مقامه صلى الله عليه وسلم لضاقت هذه الأوراق، ولكننا نقول كما قال القائل:

أرى كل مَدْحٍ في النبي مقَصّرا وإن بالغ المثني عليه وأكثرا
إذا الله أثنى في الكتاب المنزلِ عليه فما مقدارُ ما قال الورى

فآمل من هذا الرجل أن يمر نظره على ماكتبه بإمعان نظر منصف مشفق بعيدًا عن العصبية والهوى، عاملاً بقوله عليه الصلاة والسلام: "**لا ترفعوني فوق منزلتي**" .وليكن على ذُكر لما قاله الحافظ ابن حجر العسقلاني أن الإمام الشافعي رضي الله عنه قال: "إذا صح الحديث فهو مذهبي". ثم لينظر بعين الشفقة والرأفة إلى طلابه و أتباعه فلا يلق بهم إلى المهالك ولا يعرضهم بفتاويه التي تخالف الدين إلى عذاب الله.

والله أسأل أن يلهمنا السهر على عقيدة أهل الحق وأن يحشرنا تحت لواء نبيه محمد عليه الصلاة والسلام.

فرغ من كتابته يوم المولد النبوي الشريف 12 ربيع الأنور 1434
بتونس المحروسة

الفهرس